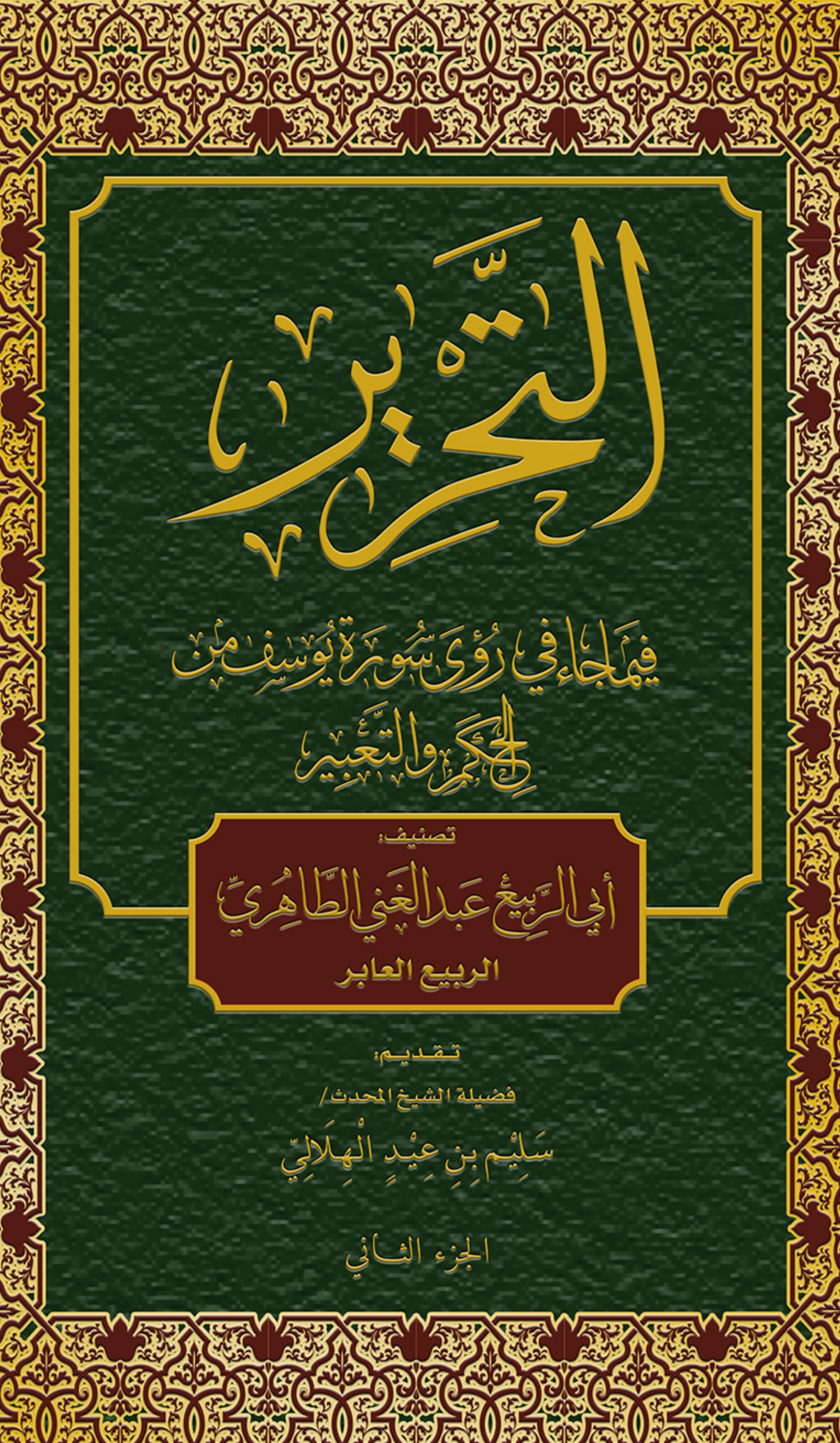


التحرير
فيما جاء في رؤى سورة يوسف من الحكم والتعبير
تصنيف:
أبي الربيع عبد الغني الطاهري
الربيع العابر
تقديم:
فضيلة الشيخ المحدث/
سليم بن عيد الهلالي
الجزء الثاني

التحرير

فيما جاء في

رؤى سورة يوسف من الحكم والتعبير

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

النسخة المعتمدة

التَّحْرِيْرُ

فِيمَا جَاءَ فِي

رُؤَى سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الحِكَمِ والتَّعْبِيْرِ

تَصْنِيْفُ

أَبِي الرَّبِيْعِ

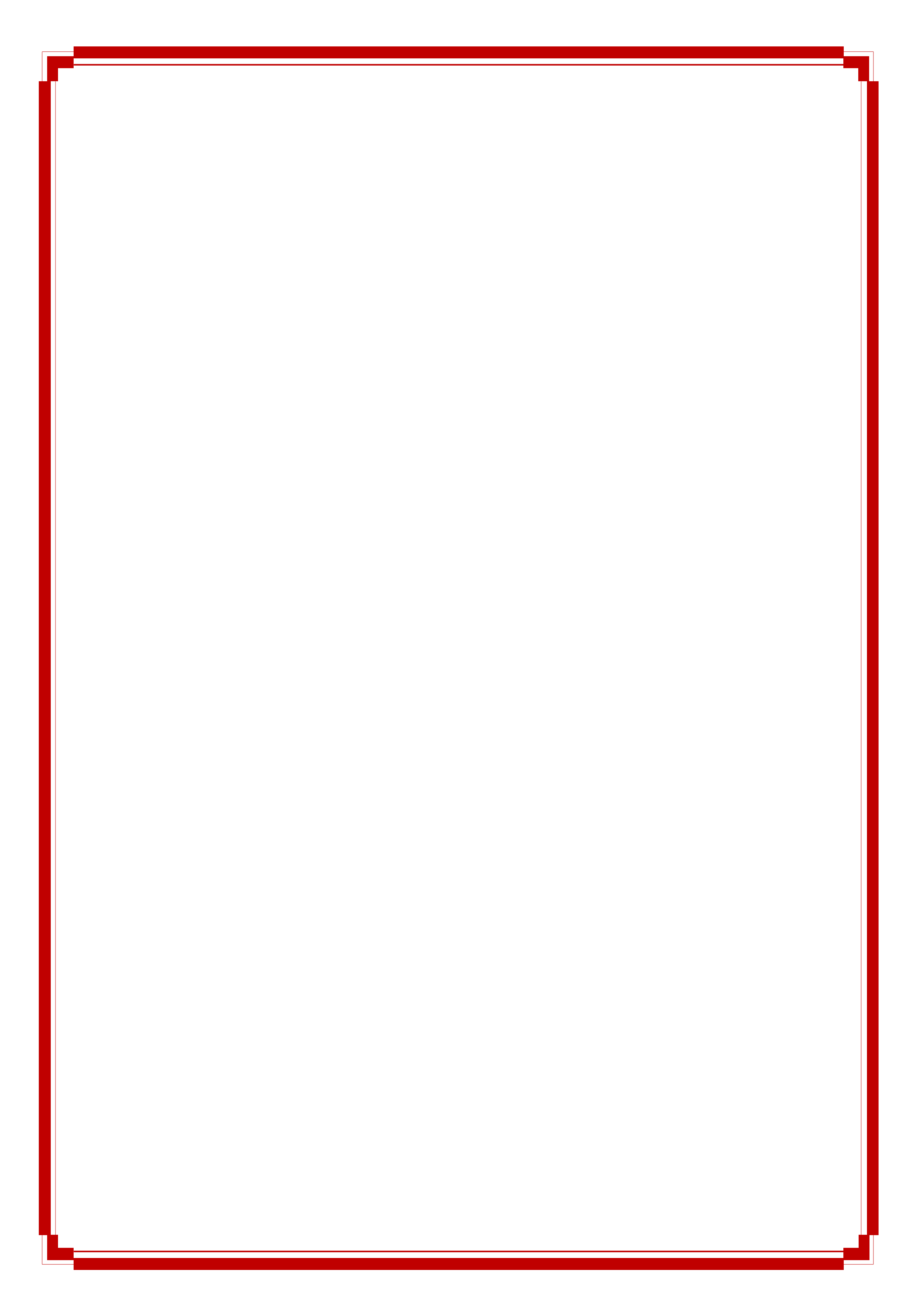
عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ صَالِحٍ الطَّاهِرِيِّ

تَقدِيمُ فَضِيْلَةِ الشَّيخِ المحدِّثِ

أَبِي أُسَامَةَ

سَلِيمِ بْنِ عِيدٍ الْهِلَالِيِّ

الجزء الثاني





بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول: مَدْرَسَةُ السِّجْنِ، وفيه مباحث.

الباب الثاني: الثَّمَرَةُ وَالطَّيْرُ، وفيه: مباحث.

مقدمة:

تحدثنا في رؤيا يوسف أن من معانيها السِّجن، واستنبطنا من رؤياه المدة التي مكث فيها في السِّجن بعد أن وجدناه ملائماً مع قول بعض أهل التفسير، وها نحن نتدارس الحِكَم من حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السِّجن بعد أن كان في قصر العزيز، وتأويله لرؤيا السَّجينين، ونَبَّهْتُ أنه على طالب العلم إن رأى نحو رؤياه أن يُمْعَنَ في الرُّؤىٰ التي ستأتي بعدها طيلة حياته، فلها صلة فيما هو آت له، وذلك لارتباط الأشياء السفلية بالعلوية، ومنها الشمس والقمر، وحديثنا كان عن رؤياه حتى مآلها.

وهنا الحديث سيختلف؛ لأنه سيكون عن تأويله للسجينين وفيه دروس نفيسة، وبالله التوفيق.

والمتأمل في رؤيا السَّجينين ليست شبيهة برؤيا يوسف؛ بل مُتشعبة، وتحتاج إلى دراسة، ومن ثم العمل، ومن أجل ذلك علينا أن نُمعن ونتدبر في كلام ربِّ العباد سبحانه وتعالى؛ لكي نستنبط دررًا ماتعة نافعة.

وذكر رؤيا السَّجينين في كتاب الله تعالى دليل على أنها لها أهميتها ومكانتها لهذه الأمة؛ وليست مجرد قصة نقرأها، بل إن فيها مفاهيمَ وحِكَمًا جمة، وكذلك في تفسير يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهما.

وقد جعلت هذا الجزء في بابين، وذلك من حال الولوج والخروج من باب السِّجن.



الرؤيا الثانية والثالثة رؤيا السجينين

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ ﴾



بعض أقوال أهل التفسير:

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أَحَدُهُما سَاقِيَ الملك والآخر خَبَّازَهُ.

قال السُّدِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سَمِّهِ في طَعَامِه وشَرَابِه وكان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد اشتهر في السِّجن بالجُودِ والأمانة وصدق الحديث وحسن السَّمْتِ وكثرة العبادة صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السِّجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم.

ولما دخل هذان الفَتَيَانِ إلى السِّجن تآلفا به وأحباه حبًا شديدًا وقالا له: والله لقد أحببناك حبًا زائدًا.

ثم إنهما رَأَيَا منامًا؛ فرأى الساقي أنه يعصر خمرًا؛ يعني: عنبًا. وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إِنِّي أَرَانِي أَعصِرُ عِنَبًا).

وقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: يعني عنبًا، قال: وأهل عُمَان يسمون العنب خمرًا.

وقال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال له: إني رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبة من عنب فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك. فقال: تمكث في السِّجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمراً.

وقال الآخر وهو الخباز: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف:٣٦]، والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا منامًا وطلبا تعبيره.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأى صاحبا يوسف شيئًا؛ إنما كان تَحَالَمَا لِيُجَرِّبَا عليه.

قال أبو الربيع الطاهري سَدَّدَهُ اللهُ: ما نقله ابن جرير فيه نظر، وذلك من القرائن الجلية من سياق الآيات، وسيأتي الحديث عنها. والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبرهما يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهما مهما رأيا في المنام من حلم فإنه عارف بتفسيره، يخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن﴾ [يوسف:٣٧].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ [يوسف:٣٧]، في يومكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:٣٧] وكذا قال السُّدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَا أَدْرِي لَعَلَّ يُوسُفَ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كَانَ يَعْتَافُ وَهُوَ كَذَلِكَ، لِأَنِّي أَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ حِينَ قَالَ لِلرَّجُلَيْنِ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا﴾ [يوسف:٣٧]، قَالَ: إِذَا جَاءَ الطَّعَامُ حُلْوًا أَوْ مُرًّا اعْتَافَ عِنْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّمَا عُلِّمَ فَعَلَّمَ. وَهَذَا أَثَرٌ غَرِيبٌ.

ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعْلِيمِ اللهِ إِيَّايَ؛ لِأَنِّي اجْتَنَبْتُ مِلَّةَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَرْجُونَ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا فِي الْمَعَادِ. ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨] يَقُولُ: هَجَرْتُ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَسَلَكْتُ طَرِيقَ هَؤُلَاءِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨]

هَذَا التَّوْحِيدُ؛ وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف:٣٨] أَيْ: أَوْحَاهُ إِلَيْنَا وَأَمَرَنَا بِهِ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨] إِذْ جَعَلَنَا دُعَاةً لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٨] أَيْ: لَا يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، بَلْ: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم].

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]

ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتَيَيْنِ بِالْمُخَاطَبَةِ، وَالدُّعَاءِ لَهُمَا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَلْعِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُهُمَا، فَقَالَ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف]. أَيِ الَّذِي وَلِي كُلَّ شَيْءٍ بِعِزِّ جَلَالِهِ، وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمَا أَنَّ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَيُسَمُّونَهَا آلِهَةً، إِنَّمَا هُوَ جَهْلٌ مِنْهُمْ، وَتَسْمِيَةٌ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، تَلَقَّاهَا خلفهم عَنْ سَلَفهم، وَلَيسَ لِذَلِكَ مُسْتَنَدٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ [يوسف:٤٠] أَيْ: حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

ثُمَّ أَخبرَهُمْ أَنَّ الْحُكْمَ وَالتَّصرُّفَ وَالْمَشِيئَةَ وَالْمُلْكَ كلَّه لِلَّهِ، وَقَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ قَاطِبَةً أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف:٤٠] أَيْ: هَذَا الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوحيد اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وأَنْزَلَ بِهِ الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف] أَيْ: فَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف].

وَقَدْ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا عَدَلَ بِهِمْ يُوسُفُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا إِلَى هَذَا، لِأَنَّهُ عَرف أَنَّهَا ضَارَّةٌ لِأَحَدِهِمَا، فَأَحَبَّ أَنْ يَشْغَلَهُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُعَاوِدُوهُ فِيهَا، فَعَاوَدُوهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الْمَوْعِظَةَ. وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدهما أَوَّلًا بِتَعْبِيرِهَا (٦) وَلَكِنْ جَعَلَ سُؤَالَهُمَا لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالِاحْتِرَامِ وُصْلة وَسَبَبًا إِلَى دُعَائِهِمَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، لِمَا رَأَى فِي سَجِيَّتِهِمَا مِنْ قَبُولِ الْخَيْرِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْإِنْصَاتِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا لَمَّا فَرَغَ مِنْ دَعْوَتِهِمَا، شَرَعَ فِي تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُمَا، مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ سؤال فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[يوسف] يقول لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٤١]، وَهُوَ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَعْصِرُ خَمْرًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يعينه لِئَلَّا يَحْزَنَ ذَاكَ، وَلِهَذَا أَبْهَمَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف:٤١]، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزًا.

ثُمَّ أَعْلَمَهُمَا أَنَّ هَذَا قَدْ فُرغ مِنْهُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعبر، فَإِذَا عُبِّرَت وَقَعت.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قَالَا مَا قَالَا وَأَخْبَرَهُمَا، قَالَا مَا رَأَيْنَا شَيْئًا. فَقَالَ: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف] لَمَّا ظَنَّ يُوسُفُ، عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نَجاة أحدهما -وَهُوَ السَّاقِي- قَالَ لَهُ يُوسُفُ خُفْيَةً عَنِ الْآخَرِ وَاللهُ أَعْلَمُ، لِئَلَّا يُشْعِرَهُ أَنَّهُ الْمَصْلُوبُ، قَالَ لَهُ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] يَقُولُ: اذْكُرْ قِصَّتِي عِنْدَ رَبِّكَ، وَهُوَ الْمَلِكُ... الخ [تفسير ابن كثير(٤/ ٣٨٨-٣٩٢)].



قلت: ولعل الصواب -والله أعلم- ما ذهب إليه ابن كثير، وذلك من حيث الأدلة التي سيأتي بيانها.

وَأَمَّا (الْبِضْعُ)، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: هُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التسع. وقال وهب بن مُنَبَّه: مكث أَيُّوبُ فِي الْبَلَاءِ سَبْعًا وَيُوسُفُ فِي السِّجْنِ سَبْعًا، وَعَذَابُ بُخْتُنَصَّرَ سَبْعًا.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف] قال: ثِنْتَا عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً.

قلت: ولعل مدة سجنه كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً، وهذا مستنبط من رؤياه بما دلت على دلالة الزمن ودلالة السجن، وقد كان من عادة العرب تجبر الكسر، فصار موافقًا مع قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهو أقوى الأقوال، لا سيما مع تلك القرائن، وقد تحدثنا عنها في رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله أعلم.



الباب الأول:
مدرسة السجن

وفيها من الحِكَم والتعبير:

المبحث الأول عِظَم الكَيد

نرجع قليلاً إلى أسباب السِّجن، فقد كان بسبب رفضه لمطلب امرأة العزيز، وذلك سرًا على خلوة، وبعد إغلاق الأبواب؛ لكي يطمئن قلبه، ولكي لا يستطيع الهروب؛ لأنها تُدْرِك عِفَّتَه من قبل أن تقدم على ذلك، وقد يُبتلى العبد بنحوه وهو بين أهله، وأما في العلن فذلك بين نسوة المدينة، وذلك من قولها: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف]، ولعل عدد النسوة كان إحدى عشر امرأة من نساء الأكابر، وهذا من عدد الكواكب، ولم نذكره في دراسة رؤيا يوسف، ولفظ الصاحبة تُطلق أحيانًا لعظيمات النساء، وتطلق على الزوجة كونها صاحبة، ويقال عند أهل اللغة: بضع نسوة وبضع عشرة نسوة، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠]. أي: طائفة، ولم يقل: (وقال نسوة المدينة)، وأيضًا لو أن الأمر ذاع عند كل نسوة المدينة لكان ذلك شاقًا عليها، وأيضًا يُفتح لها بابًا تدعي فيه أنه افتراء عليها، وظهور مثل هذا الخبر عند النسوة في الغالب يكن عن طريق الخدم، ويَتَوَدَّدُون لأهل المناصب الذين هم في ضدهم؛ لأنهم لو أظهروا ذلك للعوام فقد يكون سببًا لقطع أعناقهم، وإعلامهن بالمجيء إليها دلالة على أن عددهن محدود؛ إذ يصعب استدعاء كل نسوة المدينة.

ومن الأسباب المؤدية للسجن دعاؤه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واستجاب الله له،

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف]. فالدعاء خير صارف للبلاء؛ لأن الدعاء حماية من مكر وكيد الأعداء، فتضرع لربه بإشفاق ووجل عند المحنة وتجده كذلك عند النعمة من قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [يوسف:١٠١]، وإذا تأملت إلى جمال عفته وأدبه كذلك في الدعاء لوجدته أيضًا من قوله: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف:٣٣]، ولم يقل: (أحب إلي من الزنا)، وهذا من خلقه الحسن الجميل، فقد عَفَّ لسانه وعَفَّ فَرْجَه، وهذا هو الطريق المضمون إلى الجنة قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ ءَالِهِۦ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ» [رواه البخاري، برقم: (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه]، واللفظة (كيد) أتت قبل هذه الآية، وذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾[يوسف]، وذلك على لسان زوجها، ومن ثم أتت على لسانها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف]، والمتأمل في هذه اللفظة في كتاب الله تعالى أتت في أكثر من موضع على وجه الذم، وذلك لكثرته وتنوعه ومآله إلى خسران، وهذه إشارة إلى أن الماكر لا يفلح مهما صال وجال من الحق المزخرف فهو إلى بوار، وتأتي (كيد) بمعنى آخر وليس هاهنا موضع بسطه.

وإشارة نفيسة، وهي: لعل كيد النساء أشد وأعظم من كيد الشيطان وكيد الساحر! ودليل ذلك في كتاب الله تعالى في مواضع عِدَّة، فإن كيد الشيطان إلى ضعف، وكيد السِّحر إلى بطلان وخسارة، وكيد الكافر إلى وهن، والداعي ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليست امرأة العزيز فحسب، بل هناك غيرها، وهذا من عظم البلاء، وذلك بسبب عظم كيدهن، وذلك مع جماله وغربته وبُعد أُنس أقاربه وموطنه وكونه عبدًا فالتجأ إلى خالقه؛ فإن الخلوة على إثر ظلم سكون للروح، وفي ظُلمة السِّجن إنارة، وتَنَزُّه حتى في



الدعاء من التلفظ بالعمل المذموم من قِبَلِهِنَّ، وهذا من نفاسة معدنه، فكان الطُّهْر منه قولاً وعملاً، ومن شدة إغرائهن قال: ﴿أَصۡبُ﴾ [يوسف:٣٣]، فإنه دلالة على شدة الأمر، ولعل بين حضور مجلسهن وحين دعاء ربه مدة زمنية، والصواحب يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن، فضاق حاله منهن؛ لأنهن أردن أن يكون بمقام الزوج لهن، وأيضـًا من التملك وكل واحدة تشكو إليه، وكل واحدة أرادت أن تظفر به، وما أثقل كيد النساء على طالب العلم لا سيما إن كانت الزوجة؛ فقد يُبتلى بعدو في عقر داره، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن:١٤]، وهذا درس نفيس لمن تدبره. والله أعلم.



المبحث الثاني: الصورة من السورة

ومن الدروس النفيسة: فعندما حلَّ في قلب امرأة العزيز الفراغ، وكم من زوج جعل الحُب جُب، فلم يُسَد من قِبل الزوج فتخبَّط لكي يتعلق، فصار على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ملهوف، ولهذا قال بعض السلف: العشق: حركة قلب فارغ، يعني: (فارغـًا) مما سوى معشوقه، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ ﴾ [القصص:١٠]، أي: فارغـًا من كل شيء إلا من موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لفرط محبتها له، ولتعلق قلبها به.

والعشق مركب من أمرين:

- استحسانٍ للمعشوق.
- وطمع في الوصول إليه.

فإذا انتفى أحدهما: انتفى العشق، والناظر في حال امرأة العزيز مع حسن جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منذ صغره وترعرعه بين يديها، وفي قصرها وهو كل حين يزداد حسنـًا وجمالاً، وقد تعلق قلبها به حتى نسيت قدرها وسنها ورعايتها كأم له، فطمعت بالوصول إليه، وهذا درس عظيم في خطر الصورة لذوات الأرواح لا سيما عند النساء اللاتي قد خيّم عليهن الفراغ إما فراغ معنوي، وهو خلو العاطفة كونها لم تُسقى من قبل الأبوين أو الأخ أو الزوج، وإما فراغ حسي، وهو عدم إشغال النفس بما يعود نفعه في الدين والدنيا، وقد يبتلي الله عبده ليشغل فراغه، ولولا هذا البلاء لفسد وأفسَد، ولولا البلاء لما انتفع الناس به، ولما وصل إلى ما وصل إليه من الخير العظيم الذي يُغبط عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



ولهذا فإن القلب إذا أصبح فارغـاً سعى وبشغف إلى كل ممنوع لكونه مرغوب، ومن ذلك الصورة؛ لأنها تشغل الروح وتنهك قوى النفس والبدن، ولخطورة الصورة في ديننا، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»، وغيرها من الأحاديث، وذلك لما يخلّفه هؤلاء من مفاسد وشر عظيم من فتن الشبهات والشهوات.

وقد أجمع العلماء على تحريم ذلك، وقد تولّع الناس فيها لا سيما في زماننا، بل ومن الدعاة، وقد **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما التصوير نفسه عملاً واستعمالاً فحرام في كل موضع لما روى ابن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». اهـ

وما جرى من الشرك بعد موت نبي الله نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا من هذا الباب، وألبسهم به إبليس لأجل التقرب لله تعالى.

وفيها دلالة على حفظ البصر من النظر إلى الحرام لا سيما إلى الصورة خصوصـاً في زماننا؛ فكم من امرأة نفرت وتركت زوجها بسبب ذلك، وكم من رجل تعلّق قلبه بذلك فجرى الهجران والكراهية وأدّى ذلك إلى الطلاق وضياع البنين، وهنا تحذير شديد للنساء من الاقتراب من ذلك، وطلبة العلم هم من باب أولى، وينبغي عدم التساهل فيه، لأن طالب العلم إذا خطف بنظرة ربما صرف عن هداية الطريق، ومن أراد أن يدرك خطورة هذه الجائحة فليقرأ كتب السلف، والأمر ليس محصوراً في الصورة؛ بل أيضـاً بالصوت فبه قد يُستدرج إلى الصورة، ولما كان يؤدي إلى هذا الأمر كان من باب أولى



عدم ذلك؛ لأنه سيؤدي إلى مفسدة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

وعلينا أن نسد كل الطرق المؤدية إلى الفاحشة، ومن ذلك ما جاء في القرآن من عدم ضرب أرجلهن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، فهنا عدم إظهار الزينة الظاهرة، فمن باب أولى عدم إظهار الزينة الخفية؛ لأن المرضى في زماننا كُثر، فإذا جرى ذلك حصل داء على داء، فكانت المفسدة عظيمة، وكم من امرأة أنتهك عرضها وبداية الشر كان كلامًا، ثم صورة ثم خلوة، ثم ندامة ولا ينفع حينها الندم، وقس ذلك في حُسن البيان الداعي إلى الفتن من مكتوب ونحوه، وقد بيّنا ذلك في الجزء الأول.

وبما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عبداً لامرأة العزيز إلاَّ أنها كانت تتمتع برجاحة العقل جوار ما صدر من نسوة المدينة كما تقدم ذكره، والله أعلم.





المبحث الثالث: طَلَب شدَّة خير من رخاء فتنة

ولما كان اجتماع الشمس جوار القمر مُحال في الدنيا -إلا أن يشاء الله- كان لنا من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس في عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وذلك كونه مخالفًا للشرع والطبع والفطرة ونحوه اختلاط الحق بالباطل، فإن المفسدة عظيمة على القلب والبدن، وما هلك ممن سبق إلا بسبب هذه المخالفة، ومن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس لنا أن نُقدِّم المكروه أو نطلبه مع إقرار الروح أنه أحب من تلكم المفسدة، وهذا من أعظم الإخلاص للباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه من أجل درء مفسدة عظيمة، وما جرى من الإمام أحمد وكذلك ابن تيمية -رحمة الله عليهما- من سجنهما إلا أنهم علموا مالم يعلمه غيرهم بنحو ما ذكرنا.

تحفة:

وتجد اختلافا عجيبا بين امرأة العزيز وبين من كانوا بطانة للخلفاء في عصر الإمام أحمد وعصر ابن تيمية، فتلك ألبَست وحرّضت حتى رأى العزيز أنه لابد من السِّجن، ونحوها خاصية الخليفة في فتنة الإمام أحمد؛ فقد ألبسوا الحق بالباطل وزينوه حتى سجنوه، ونحوه في حق ابن تيمية، ولعمري أنها كانت أعقل منهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف]، وأما أولئك فلم يصدر منهم إلا الكبر والأَنَفَة.

ونفهم مما سبق ذكره أنه شتَّان بين خلوة وخلوة، فإنه ينبغي على العاقل الحازم أن لا يهمل محارمه مما استوجبه الله عليه؛ لأجل صيانتها، وذلك لمصالح عدّة يدركها كل غيُّور، ومنها لكيلا يُهيأ لهن الخلوة لساعات، فهذا مخالف للشرع لا سيما نساء أهل

المناصب والترف، لأنه يجعل الشيطان يطلق أسهم مسمومة فيقوم بالعبث في الفِكر والخواطر حتى يتمكن من القلب؛ لأن حالها كالصغير إن لم تطلع على حركاته يقوم بالعبث فيتخطى الشيطان للقلب لإشغال الفراغ بزعمه، ولكن على باطل مبطون وظاهره صلاح، ولعل هذا السبب من الأسباب التي جرت من امرأة العزيز.

وأما الخلوة لله وفي الله سبحانه وتعالى لا سيما عند الفتن فهذا من أعظم القربات، والمؤمن قد يفاضل بين السيئ والأسوأ عندما تُغلق في وجهه الأبواب، وتضيق السبل، وتختفي المخارج.

لنا وقفة مع السبعة:

ثبت في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

وإذا تأملنا في هذا الحديث نجد أنه من ترك حرارة الظلم والانتقام، أو ترك حرارة تهيج الصبا، أو ترك حرارة الملذات، أو ترك حرارة الحسد، أو ترك حرارة المن والأذى والرياء، أو ترك حرارة تهيج النفس في الخلوة، أو ترك حرارة العشق والهيام مع مراودته؛ نال عطية الرحمن وصرف عنه تلك الكربة يوم القيامة، فكان الجزاء من جنس العمل.

وما ذكرناه من شرح الحديث يتوافق مع حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاختار السِّجن على ما أرادته منه خوفا من الله ورجاء ثوابه.



ولنا عِبرٌ أيضـًا منها: إيثار الشدة على الولوج في الآثام، والسِّجن على المعصية، وملازمة الدعاء بالثبات، فقد كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر من دعاء الثبات، ومنها عدم العجب والغرور بما تُكِنُّ به الروح من استقامة، فربما تزل قدم بعد ثبوتها.

ونتعلم من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الشدة على إثر يُسر أشد من الشدة بعد عُسر؛ فقد كان في قصر العزيز بمقام ولده، وبغتةً صار في السِّجن، وهذا شديد على من كان حاله متيسر وتحول إلى عسر، وأما إن كان في عسر ثم انتقل إلى عسر آخر فإن ذلك قد صار ديدنه، والله أعلم.

وقد ذكر لنا ابن القيم قصة عن العِفَّة، ونوعا خطيرا من السحر (سحر التهييج) وسحر التهيُّج: هذا السحر من أفحش ما يكون، إذ يجمع بين السحر وطلب الفاحشة!! حيث يسعى الساحر إلى تهييج قلب طرف (ذكرًا كان أو أنثى) لمُجَامَعَة الطرف الآخر نسأل الله العافية، فقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال الحرام قصة لهذا النوع من السحر، فقال: توفي شاب كان صالحًا بارًا بأبيه، وسبب وفاته أن امرأة أحبَّته فأرسلت إليه تشكوا حُبَّهُ وتسأله الزيارة، وكان لها زوج، فَأَلَحَّت عليه، فأفشى ذلك إلى صديق له، فقال له: لو بعثتَ إليها بعض أهلك فوَعَظَتْهَا وزَجَرَتْهَا رجوت أن تَكُفَّ عنك، فأمسك؛ وأرسلتْ إليه إمَّا أن تزورني وإما أن أزورك!! فأبى.

فلمَّا يئِست منه ذهبتْ إلى امرأة كانت تعمل السِّحر فوعدتها العطاء الجزيل في تهييجه، فعملت لها في ذلك؛ فبينما هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذِكرُهَا بقلبه وهاج منه أمرٌ لم يكن يعرفه واختلط [فسد عقله]، فقام مسرعًا فصلَّى واستعاذ والأمر يشتدُّ،

فقال: يا أبتِ أدركني بِقَيْدٍ، فقال: يا بني ما قصتك؟ فحدَّثه بالقصة فقام وقيَّده وأدخله بيتًا فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور، ثم هدأ فإذا هو ميِّتٌ والدم يسيل من منخره. [روضة المحبين ونزهة المشتاقين - الباب ٢٨]

فائدة:

فمن ابتلي بمثل هذا المرض وهو سحر أو مس الفاحشة فإن من الأدوية النافعة لمثل هذا الداء هو الزواج بالثانية حتى الرابعة، أو قراءة سورة النور، وهذا الدواء من الطب النبوي، وأيضـًا على قاعدة الضد.

وقفة:

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظر في سير السلف. [صيد الخاطر].

قلت: هذا إن كان خاليًا من الوساوس والأسحار والأوهام وإلا فلا.





المبحث الرابع: مسألة فقهية

ومن الدروس: هل يعاقب من أُكره على الزنا؟

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**». [رواه ابن ماجه، برقم: (٢٠٤٣)، وقال الألباني: صحيح].

وذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث: أنه يستثنى من ذلك الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان.

قلت: لأنه إذا أكره على القتل فلابد من القصاص؛ لأن نفس القاتل ليست أولى بالعصمة من نفس المقتول، وإن كان لا إثم عليه.

فالمُكْرِه أعظم ما يمكن أن يملكه للمُكْرَه: **القتل**.

فإن قُتل المُكرَه فهو شهيد، وهذا خير من أن تقتل نفساً بريئة لا ذنب لها إلا الإكراه، هذا في حق القتل.

أما في حق الزنا، فلعظم خطره ولاختلاط النسب فيه واختلاط المياه.

أي: ماء الرجل بماء غيره، وما يترتب عليه من مفسدة عظيمة على الفرد والمجتمع؛ لذا قال: إن الزنا والقتل يُستثنيان من الإكراه.

مداخلة: هل الأفضل لهذا المكره أن يموت إن خير بين القتل والزنا أم يرتكب الفاحشة؟

الجواب: يموت خير له، وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.



يقول الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البرهان": للشرع تصرفٌ في الضروريات، وذلك أن الذي لا يستباح إلا بالضرورة لفحشه، أو بعده عن الحِلِّ، فقد يَرعي الشرعُ فيه تحقق وقوع الضرورة، ولا يكتفي بتصورها في الجنس، وهذا كَحِلِّ الميتة.

ورُبَّ شيءٍ يتناهى قبحه في مورد الشرع، فلا تبيحه الضرورة أيضًا، بل يوجب الشرع الانقياد للتهلكة، والانكفاف عنه، كالقتل، والزنا، في حق المجبر عليهما. اهـ

قال أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "أحكام القرآن": وقالوا فيمن أكره على قتل رجل أو على الزنا بامرأة: لا يسعه الإقدام عليه؛ لأن ذلك من حقوق الناس وهما متساويان في الحقوق فلا يجوز إحياء نفسه بقتل غيره بغير استحقاق، وكذلك الزنا بالمرأة فيه انتهاك حرمتها بمعنى لا تبيحه الضرورة وإلحاقها بالشين والعار. اهـ



المبحث الخامس: السجن إمامة

والمتأمل في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسجنه فقد صار مثلاً يُضرَب به، وإن كان سجينًا لكنه عظيمًا في تاريخه، وذلك من عَظَمة الكواكب من رؤياه، بل ربما أعظم سجينًا في تاريخ البشرية، فقد فضّل نعيم الأنس بخالقه في السجون على لذائذ المتعة في القصور، وكذلك مما جرى لبعض أئمة السلف كأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد سُجِن وجُلِد وانْظُرْ مآله فيما بعد، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات في السِّجن لكن علمه ملأ الدنيا.

ولما كان الخسوف والكسوف شبيه بالسِّجن كانتا آية من آيات الله، فجعل لمن ابتلاه بهذا البلاء آية للعباد وعبرة وهداية لطلبة العلم، ونحو السِّجن: المرض؛ كونه يجعله محبوسًا عن الحركة كأيوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقد صار مثلاً وآية في الصبر، ولمن رآه في المنام فإنه يُبتلى بمرض ثم يكن عاقبة أمره إلى خير وراحة.

وكم من طليق مسجون بذنوبه، وكم من مسجون طليق، وذلك لشيء وقر في روحه فاستراح وأنار جبة السِّجن بقلبه ومحبرته وقلمه، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]، فدرجة الصبر حتى الإمامة من صفوة الصفوة، وذلك في صبرهم وتجلدهم على البلاء العظيم، والله أعلم.



المبحث السادس: أطع ربّك وإن ضَرَبك وسَلَبك وسَجنك

ومن الدروس العظيمة من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس نفيس في طاعة ولي الأمر مهما بغى عليه، فلم يطعه في معصية، وأذعن لسطوه وإن كان الحق معه، ومما زاد من جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه مع ذلك لم يَدْعُ عليهم، وهو يدرك أن دعوته مستجابة، ولكن سلّم أمره لله تعالى، وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن الخليل.

وعند أهل اللغة من معاني السِّجن يقال: سُجن لسانه، فقد سُجن لسان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولسان الشاهد من أهلها فحاله كحال ملك مكبل بالقيود وهذه لحكمة أرادها الله تعالى، ولعل ذلك لتكن قصته من أجمل القصص.

فأين حال الخوارج من حال هذا الرسول العظيم؟!

وأين قلوبهم مما جاء عند البخاري من حديث عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»؟

ولئن صبروا لكان خيرًا لهم مما وصل به الحال في البلدان الإسلامية بعد ربيعهم، ولفظ (الربيع) براء منهم، وقد صدّقوا اليهود بما عاهدوهم، ولكن كان مآل ذلك إلى بوار، وتجد معتقدهم الخارجي حتى في أشعارهم كقول أحد أربابهم:

فـــلا بـــد لليـــل أن ينجلـــي   ولا بـــد للقيـــد أن ينكســـر

فإنك تجد من هذا اللفظ خبث دفين تجاه الحاكم، وأيضًا تجاه الدِّين الحنيف، فلم يقل (أن يفتح) فهي أهون مع أن قوله (فلا بد) دالة على الحتم والإصرار وإن كان



حراماً أو يؤدي للكفر، فلابد وعليها للأبد، والأكابر من اليهود حريصون على التأمل في كلام الله تعالى وأحاديث نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ باستنباط الضد، فقد صالوا وجالوا حول حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وإلى الله المشتكى.

وما جرى لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل الطائف كان أشد مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يكن أهل الطائف أولياء عليه، ولهذا آذوه أشد الأذية ولم يَدْعُ عليهم؛ بل تفاءل بخير يأتي من أصلابهم فجرى من (عسى) (سعى)؛ فقد سعى وفد ثقيف وأسرعوا في السير إليه في عام الوفود، فصلوات ربي على نبينا الكريم إلى يوم الدين.

ولعل من الحِكَمِ من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعدم سجن موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن قضية يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت تعني مصير فرد ولحكمة متأخرة في زمنها المحدود، وقضية موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت تتعلق بمصير أمَّة، وما جرى من موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن هدده فرعون بالسِّجن من حكمة الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم.



المبحث السابع: عُزِل للعزلة

ومن الدروس النفيسة: اعتزال الناس عند كثرة الهرج والمرج، لا سيما عندما تُغلق الأبواب، فعندما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ظلم من الأكابر وهو بريء لا سيما بعد أن شهد شاهد من أهلها؛ فكانت الحُجَّة أشدُّ ضياءً، وذلك أنه من شجرتها فَخُيِّر بين الفتنة والعُزلة فما كان أمامه سوى العزلة بعد أن عُزِل من مكانته عندهم، فقد كان نافعـًا واتخذوه ولدًا لهم، وجاء الفرج من لسان خصمه وهو في السِّجن، وقد يفتح بابـًا للعدو من لسان حبيب كما خاف يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الذئب فكانت حُجةً محجوبة لهم.

وهذا يستفاد منه بعدم الثقة العمياء للصديق أو للقريب حتى تختبره في الدينار والدرهم أو في السفر أو عند الولاية لكي تدرك معدنه عند الفتن.

فأخبث الناس من إن تفتح له صدرك وتجلّه أكثر ممن هو أقرب منك، وذلك لطباع سجيتك فيتتبع عثراتك وأسرار أهلك، ثم يُسمِّعُ بك على الملأ، فَيُصَدَّقُ بسبب مكانته الظاهرة أو القديمة الرفيعة عندهم، كامرأة العزيز، وتُكَذَّبُ كونك غريبـًا أو طويلبـًا فيحصل لك الاعتزال والخوف والشك لربما بنفسك، فيثبتك الله تعالى حينها، وسبب قيامه بذلك تجاهك إنما رداءة ترعرع عليها في الصغر، وإن تزيّن بالعلم، أو بسبب داء عضال في قلبه، وما علم أنها الحالقة، ولئن قام بما قام به شاهدها لكان خيراً له، وقد ابتليت الدعوة بمثل هؤلاء وهم في درجات الخبث من النُّدر؛ لأن قيام إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من النُّدر نسأل الله السلامة والعافية، وما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا من هذا الباب وهو القيل والقال بين النسوة، وهذا دال على عظم خطورة هذه الآفة



الكبيرة والدافع في ذلك أيضـاً الكِبر.

فأحيانـاً العزلة سلوة، وكما في نونية القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جمِّـل زمانـك بالسـكوت فإنـه　　　زيـن الحلـيم وسـلوة الحيـران

وقد جاء عند البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، برقم: (١٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»، وعند الترمذي، برقم: (٢٥٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٠٣٢)، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**».

فكيف الجمع بين الحديثين؟

قلت: هناك مفاهيم عدّة لأهل العلم؛ وقد استدل البعض بالحديث الأول ممن ذهب إلى استحباب العزلة وتفضيلها على مخالطة الناس، ولكن التحقيق أن الأصل هو تفضيل المخالطة على العزلة، وربما المعيار بين الأمرين أيهما يُرجَّح عائد على حال الفتنة والزمن والمكان؛ لأن الناظر في حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يعتزل بالكلية عن الناس؛ بل انعزل وجاور من بالسِّجن من مجرمين ونحوهم.

وقفة: إن الناظر في الحديث الذي رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستنبط منه فائدة جليلة مع ارتباطه بمجريات أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي: أن العباد يحرمون الغيث إذا ظهر فيهم الحسد، فإنه يؤدي إلى فتنة واقتتال، وإذا خرجوا على ولي الأمر، وإذا ظهر فيهم الزنا، وشرب الخمور، وما ذكرناه له أدلته القوية من أحاديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبدون ذلك تنزل عليهم البركات والرحمات.

واعلم أن مثل هذا الاعتزال؛ أعني: من يُظلم ويُكره عليه أعظم ممن يقدم عليه من غير إكراه، ففي الأول حِكَماً جليلة يتفطن لها من وفقه الله لذلك، ولنا في شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبرة وعظة، فلولا الله ما جرى منه تدوين الدرر في مدرسة سجنه.

فإن الشِّدَّة تُخرج الحِكَم واللطائف الحسنة الماتعة، وما حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سجنه إلا مدرسة للأجيال، وقد تخرّج منها بعض أئمة السلف، وكما أسلفنا فإن السِّجن ليس محصورًا بين جدران أربعة، فنظيره المرض، أو في الدار، أو في الزوجة وأشباههم.

وقفة: قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] هذا في حال القتال كون النفس تكره الموت، والآية على العموم، ولا تُحصر في القتال فحسب.

والمتأمل في حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ﴾ [يوسف:٣٣]، وهذا في حال فتنة النساء، فقد طلب المكروه بعد أن دعاه الداعي، وجوابه يستدل منه دروس نافعة:

منها: أن كيد النساء وحربهن إذا أضمرن لذلك لا يسلم منهن إلا من وفقه الله تعالى، ومن حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عند مسلم، برقم: (٢٧٤٢) قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**».

ومنها: أن الإيمان إذا رسخ فإنه يرسخ كالجبال، وليس كمن يتذبذب كالرمال مع الرياح.

ومنها: أن المرأة (القارورة) إذا رأيتها مترجلة في هيئتها أو مشيها، أو كان صوتها متحشرجاً أو شبيه بصوت الرجل فدلالة على أنها تشكو من نكد. والله أعلم.



المبحث الثامن: رؤية الباري جَلَّجَلَالُهُ في المنام

هناك قوم جحدوا رؤية الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في المنام! وقالوا: إنما هي وساوس، ولا حُكْمَ لها! وهذا من فساد قلوبهم؛ لأنا جعلنا ذلك أعمالاً للرائي، ولا نكابر الرائي فيما يراه وغلب على ظنه ذلك، بل نقول ربك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الحاكم عليك، فننظر فيمن يحكم فنعطيه من الخير والشر على قدر ما يليق به من شهود أو قرائن الرؤيا، وكذلك نقول: إنه حق سبحانه؛ فإن كان في صفات حسنة كنت على حق، وإن كان في صفات سيئة فأنت على خلاف ذلك.

ومنهم من أنكر رؤيته في الآخرة! وهذا من تردي فهمهم للنصوص الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: جَوَّز أهل التعبير رؤية الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في المنام مطلقاً، فرؤية من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم تختلف باختلاف السرائر. [فتح الباري (١٢/ ٣٨٧)].

وما من إشارة إلاّ ولها تعبير حسن أو رديء، ورؤية الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيما يليق بعظمته وجلاله من غير تشبيه ولا تكييف إن كان في صفات حسنة، أو إقباله على الرائي؛ دلَّ على البشارة والخير والرحمة، وإن كان في صفات ناقصة دلَّ على النقص في الرائي، وقس ذلك في رؤيا الملائكة والأنبياء عليهم السلام، والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، والصديقين،

والتابعين رحمهم الله.

فإذا رأى اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصفة حسنة كالدُّنُو منه، أو كلام حسن، أو أقبل عليه، أو وعده بخير ونحو ذلك، أو كان مسموعـًا، أو مكتوبـًا، أو رأى اسمـًا من أسمائه الحسنى الدالة على الصفة الحسنة فبشارة له برفع المنزلة، وخير ممن دل عليه الباري عز وجل من الإشارات الدالة عليه والتي سيأتي بيانها، وأعط بقدر ما يليق به.

ومجيئه إلى مكان مخصوص، أو تجلى عليه وهو في صفات حسنة دل على نصر المظلوم، وهلاك الظالم، وإن رآه المريض: مات؛ لأنه حق، وللخائف أمان وبلوغ المراد، وربما دل على خراب ذلك الموضع على يد ملك، أو يسخر الله لذلك الموضع عالمًا جليلًا، أو طبيبًا ماهرًا، ونحو ذلك، ودل على البلاء ويُلهم الصبر والشكر، فإنه إذا أحب عبدًا ابتلاه، وقس على ذلك من رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بعباده.

وأما رؤيته في صفات ناقصة، أو أعرض عنه، أو تهدده: تغيّر عليه من دل عليه كالسلطان، أو كبيره، والحاكم، والعالم، ونحوهم، فاحذره؛ أعني الرائي بما هو قائم عليه من خطأ، وربما تغير دينه. فافهم ذلك.

والشيطان لا يتمثل بالباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في المنام، ولا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولذلك تجد عند بعض المرضى، أو ممن تاب، فعند توبته ووجد ما ينفعه من الخير يتمثّل له الشيطان بالمنام لكي يصرفه عن ذلك، وهذا من حيله، فتفطن لذلك.

وأما إن تكرّرت رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي غير لائقة لا سيما المرضى فهو دال على فساد أخلاط عند الرائي وعليه بالاستفراغ، والله أعلم.



إشارات الربيع في رؤية الباري سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

اعتبر رؤية الباري سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بإحدى هذه الإشارات بعد معرفتك لحال الرائي وأعط بقدر ما يليق به:

دال على كبير من الأكابر كالملك والحاكم، ودليله من سورة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، فإن الرَّب هنا بمعنى الملك ونحوه العزيز.

ويدل على السيد والوالي والقاضي والعالم والوالد أو العريف والأستاذ والقدوة والمؤدب والزاهد والخبير في الشيء، ونحوهم.

فإن كان في صفة حسنة ويليق به المُلك؛ دل على المُلك أو الولاية، أو الحكم والقضاء، والعلم فيحصل له ذلك، أو حكم على أرباب صنعته، أو مقربة ممن أشرت إليهم، أو نال منهم خيرًا أو عزًا، أو جاهًا، أو سلامة، ونجاة، أو غنى، أو زواجًا، أو حملا، أو خلاصا من شدة، أو رزقا، أو نصرًا، أو سيرة حسنة، أو أمانا للخائف، أو عمارة للخرب، أو هداية، أو تدل على موت المريض، أو إسلام الكافر، أو توبة المذنب، ونحو ذلك.

وأما إن كان في صفة ناقصة فاعتبر عكس ما ذكرت، أو حذّره مما هو عليه إن أدركت خطأه من شهود الرؤيا أو من حاله.

اعتبر صفة رؤيته واعرف حال الرائي واحكم بذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت أني مع صديق لي والنار أمامنا، ويأمرنا الله أن ندخلها.

قلت: طلب منكم رب العمل الإقدام على أمر رديء كفتنة ونحوها وأبيتم ذلك.

قال: صحيح.





وآخر يقول: رأيت أني أكلّم الله وبيني وبينه مائدة من خشب.

قلت: يرزقك الله علمـًا نافعـًا للعباد من مشايخك وتُبتلى بمن حولك، ويؤيدك بالحجة والبرهان، وتمرض، ودليله مما جرى لموسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند أخذه للألواح، وليس كل خشب في المنام دال على النفاق كما يظنه البعض.

وقالت امرأة: رأيت أحد طلبة العلم يكتب في السماء: الله يحبك.

قلت: يحصل لك بلاء بالرأس، ويسخر الله لك طالب العلم، ويحصل لك منه خير ونفع، فجرى كذلك.

وأخرى تقول: رأيت كأني في قرية والدتي وكان هناك مسجد أبيض اللون، وكان هناك فيل يضربني، وسمعت الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: إن صبرت عوضتك الجنة.

قلت: عليك أن تصبري، وعليك بعُشبة الصبِر من داء بك، فهو بالضد لطبائع البياض، وينصرك الله على عدو آذاك كثيرًا، ويكن عاقبة أمرك حسنة، وزواج برجل حسن، وأمان لك، فافهم ذلك.

وعلى هذا فقس في رؤية العرش والكرسي واللوح والقلم حكمها حكمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لأنها اختصها لنفسه فصارت حكمه، وإن أردت دراسة باقي الإشارات لكل أبواب التعبير فابحث في: **ربيع المنامات**.



المبحث التاسع: صُحبة حتى في الكربة

ومن الدروس: دالة على أن الرؤيا تُفَسَّر إلى دلالات عدّة؛ فكما أنها كواكب عدة كانت في رؤياه فقد جرت دلالات عدة، وكانوا سبباً إلى ما وصل إليه، وهو مآل رؤياه، وإن صدر منهم الظلم ونحوه، ولهذا فالرؤيا تُفَسَّرُ بتأويل واحد ويُسْتَنْبَطُ منها دلالات وأحكام شتى، وهذا من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ [يوسف:٣٧]، وهذا يتوافق مع تفسير مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الآية؛ فقبل أن يأتي الرزق في اليقظة والذي رأيتماه في مناكما إلا حدثتكم بمآله من حيث ماهيته ومنه كيفيته ونحو ذلك من الدلالات، فافهم ذلك.

وكما أن الكواكب كانت متجاورة في رؤياه ومنها استنبطنا دلالة على السِّجن، فقد جرى له أيضاً صُحبة عند دخوله للسجن، وهما الفتيان الخادمين، وهما شبيهان لمن دل عليهم الكواكب لمجاورتهما للشمس والقمر، فقد كانا في مجاورة الملك.

وسبحان الذي يُسخِّر للعبد كشف كربته بما لا يخطر في باله، فيرزقه من حيث لا يحتسب، وقد يأتي الفرج والخير من الغريب والبعيد ويُرفض من قِبل القريب أو المعارف.

والمتأمل في حياة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد جرت النصرة من قِبل أهل يثرب، وجرى عكس ذلك من أهل مكة، ومن أقرب الناس إليه، بل وآذوه أشد الأذية، وما أحسن ما ذكره ابن الوردي في "لاميته":

حُبُّـك الأوطــان عَجْــز ظــاهر فــاغترب تلـق عــن الأهــل بَـدَل

وكم بَذَلَ نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ من النصح والتبليغ لأهل مكة ومع ذلك لم يجري منهم إلا الصد والإعراض، ومن ثَم فتح الله عليه بدءًا مع سيد الأنصار، وما جرى بينهما، ومن ثم مع أهل يثرب كما في السيرة.

وحال آخر من هذه الصحبة وهو قد يشتركا اثنان وأكثر في رؤيا واحدة، أي: يرى كلا منهما رؤيا بذات السياق، وقد يرى الإنسان لإنسان آخر، وهذا الآخر يرى بما جرى من الأول نحوه، كمن يرى أنه طعن صاحبه، ورأى صاحبه أنه طُعن من قِبل صاحبه الأول، ونحو ذلك من عجائب الرؤيا.





المبحث العاشر: نبأ التأويل من نبيِّ الله

ومن الدروس النافعة: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وينبغي علينا أن نتعلّمه ونُعلّمه في دور العلم، وعلينا ألا نغفل عن مكانة الرؤيا، ودليل ذلك من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ التعبير الذي سأعبره لكما ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧] أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إليَّ به، وذلك ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف] والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصل. اهـ

وكما عند أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، برقم: (٣٠٣٢) أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ دعا لابن عمه عبدالله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»، وهنا تنبيه لطالب العلم أنه بدأ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بفقه الدين، وأنه لا تأويل صحيح إلا بفقه، وهو علم الكتاب والسنة المطهرة، وإن كان دون ذلك فهو جهل أو تكهن، وكانت دعوة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ له مباركة عليه، فصار ترجمان القرآن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ثم ننتقل إلى قول السَّجينين: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف]، وقد نبّأ نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمآل كل رؤيا لهما وجرى ذلك بحذافيره. ومعنى النَّبَأُ: الْخبر يُقال نَبأَ ونَبّأَ وأَنْبأَ، أَي: أَخبر. ومنه النَّبِيُّ؛ لأَنَّهُ أَنبأَ عن الله، وَهُوَ فَعِيل بِمَعْنى فاعل، تركوا الْهمزة كالذُّرية والبريَّة والخابية، إِلا أَهل مكة فإِنهم يهمزون الأَربعة.



والتأويل: **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو مِن آلَ الشيءُ يَؤُول إِلى كذا، أَي: رَجَع وصار إِليه، والمراد بالتأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ.

وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التأْويل، فقال: التأْويل والمعنى والتفسير واحد.

قال أَبو منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال أُلْتُ الشيءَ أَؤُوله إِذا جمعته وأَصلحته، فكان التأْويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إِشكال فيه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف] أي: ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه.

وقال الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأَوُّل والتأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إِلاّ ببيان غير لفظه؛ وأَنشد:

نحن ضَرَبْناكم على تنزيله ... فاليَوْمَ نَضْرِبْكُم على تَأْويلِه

قوله: نضربْكم، بالجزم؛ هكذا في الأصل ولعل الشاعر اضطُرّ إلى ذلك محافظة على وزن الشعر الذي هو الرجز.

وبما أن التأويل بمعنى التفسير فتأويل الأنبياء حق كما أن رُؤاهم حق، وأما من غيرهم فتأويلهم أو تفسيرهم ظن، والظن يخطئ ويصيب، فلا يجزم العابر بتفسيره ولا يقسم، وهذا من باب أولى، والله أعلم.





المبحث الحادي عشر: مُحسن في السجن

ومن الدروس المليحة: الإحسان؛ وهذه الصفة قلّ أن تجد أناساً يتصفون بها، والأحسن من المحسن عند الشدة والمحنة يهب مما يعتريه، فهذا تجده من صفوة الصفوة، ولما ذُكرت اللفظة (أحسن) قبل بدء قصته كان الوصول إلى ما وصل إليه لا بد أن (أُسجن)، وهذا ما يسمى التأويل بالتصحيف، وقد نال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعلى مراتب الإحسان، ومن ذلك مراقبة الله تعالى مع امرأة العزيز، وفي السِّجن قالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[يوسف]. فقد كان ميسراً وهو معسر.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم ولو حرصت: رجل سقاني شربة على ظمأ، ورجل حفظني بظهر الغيب، ورجل وسع لي في مجلس، ورابع لا يكافئه إلا الله عز وجل: رجل بات وحاجته تلجلج في صدره غدا عليّ فأنزلها بي. [تاريخ بغداد ٤٦/ ٣٦٥].

والمتأمل في الآية فالفتيان توسموا في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الأخلاق الحميدة بعد صحبته في السِّجن، ويُعضد ذلك طلبهما لتعبير رؤياهم فإنه لم يعلموا أنه عابراً للرؤيا من حين دخولهم، ولعلهم بعد أن رأوه يعبّر لغيرهم ويُكرم في ذلك، وأيضاً طلب ذكره عند ربه دالة على طول المدة التي حل بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السِّجن، وأن سؤالهما لم يكن من أول وهلة عند دخولهما للسجن، وإنما فيما بعد، وهذا يتوافق مع المدة الزمنية التي مكث فيها كما حددناها في الجزء الأول، والله أعلم بالصواب.

ومن إحسانه كرمه في خدمة المسجونين مما وهبه الله تعالى، وكانت الإشارة البارزة



في سجنه هو بث العلم وهو في كربة، وهنا درس في عدم اليأس بل دل على العزيمة والصبر والفأل الحسن، ولما كان المحسن محبوبـًا عند الله قذف محبّة خلقه الصالح منهم والفاسد، وهذا تجده من خطاب السَّجينين مع اقتراف أحدهم لجرمه الذي قام به ضد الحاكم، ومن رؤياه مما تقدم ذكره نتعلم من الشمس والقمر أن الله سخرهما لمصلحة العباد، وهذا من الإحسان على الآخرين حسب مفهوم التعبير، ونتعلم أن اللفظ حسن أو محسن ونحوه في المنام دال في الغالب على خير، وفوائد، وأرزاق، وخلاص من شدة، ونحو ذلك.

ولهذا على طالب العلم أن يرشد السائل قبل الجواب على مسألته لما فيه من خير في دينه ودنياه على نحوها، وهذا ما كان من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل تأويله للسجينين، وفي رؤيا الملك، وإذا تأملت في رؤىٰ المرضى اليوم فإنه يلزمك أن ترشدهم للعمل بالأسباب الصحيحة لما هو عافية لهم في دينهم وأبدانهم. فافهم ذلك.

سأل الربيع نفسه قائلاً: لم يُذكر في السورة عفو يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن امرأة العزيز وقد ذُكر عفوه عن إخوانه؟

فبحثت وبحثت حتى وجدت: لعل السبب في ذلك أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عانى أشد المعاناة من قِبلها، وكان ما جرى عليه من قبلها أشد مما جرى من إخوانه، فقد تكلمت في عرضه، وسجن سنوات وغير ذلك من الأمور، ولكن كان إخوانه هم السبب الأول، وعندما التقى بأبويه وإخوانه قال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف:١٠٠]، ولم يقل من الجب، وهذا دليل على شدة كربة السِّجن، وبما أن ذكرنا أن من دلالة الشمس من رؤيا يوسف ما يشير لامرأة العزيز فإذا رجّحنا الشمس جوار أحد عشر كوكب لوجدت عظم جُرم الشمس وحرّها، فكان حال ظلمها عليه شبيه بذلك،



وأيضـًا عند تحذير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ له قال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ﴾ [يوسف:٥]، ولكن عند كيد النساء قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٨]، والعزيز بمكانته لا يصف حالهن بهذه الصورة إلا وهو صاحب خبرة، فهنا كيد امرأة غلب كيد أحد عشر رجلاً، والله أعلم.

ولعل امرأة العزيز أسلمت على يد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله تعالى عنها: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: ٥٢]، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر، والله أعلم.



المبحث الثاني عشر: الجزاء من جنس العمل

وهذه قاعدة عظيمة نجدها في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولها وقفات عدّة:

منها: إخلاصه.

ومنها: دعوته للتوحيد للسجينين ولم يأبه لعقيدتهم لكونه يعلم أن أحدهم سيخرج يخبر الملك بعقيدته الصافية، ومع ذلك لم يخشَ إلا الله تعالى، فكان جزاؤه اشتهاره بالصدق في كل ما يقوم به.

ومنها: التأويل، وذلك من قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦].

ومنها: عندما أحسن للسجناء بحسن خُلقه، فكان جزاؤه من ذلك، أن أحسن الله إليه فقال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف:١٠٠]؛ لأنه أحسن إليهم حتى شهدوا بذلك فقالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

ومنها: قيامه بخدمة الخلق في تأويل الرؤيا، فكان خروجه من السِّجن من جنس ما قام به، وهو في السِّجن، وذلك من رؤيا الملك.

وليعلم طالب العلم أن الله إذا أنعم عليه فلا يبخل في نفع العباد، بل ليسارع وليبذل ذلك، لا سيما في علم تأويل الرؤيا، فإنه يتطلب على طالبه قلب صبور، وذلك بعد توفيق الله له، فإن أكثر من يبدأ بهذا العلم تجده يتراجع ويترك ويبتعد عنه، لا سيما إذا رمي بالكهانة، ولم يصبر، ولو صبر لأدرك أن إحسان الله عليه سيكون أعظم وزيادة مما أحسن به للناس، سواء من التعبير، أو بشيء آخر فيه قضاء حوائج الناس.



والناظر في نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع هذا العلم نال فيه التوفيق والسؤدد، فقد كان يطلب من أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمن رأى منهم رؤيا ليعبّرها لهم، وهذا المسلك لم يُذكر ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أحداث قصته، وهذا من أرفع مراتب الكرم والعطاء من قبل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا فمن رأى يوسف في المنام أو نحو رؤياه فقد يُسجن بمكر يكاد عليه بشيء يخوضه في خدمة العباد، ثم يكون الفرج من جنس ذلك، والله أعلم.

ومن تواضع لله رفعه، فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم المنكسر بين يدي خالقه، وبين يدي معلمه وإخوانه وأهله، ولما كان حاله كذلك كانت له الرفعة في الدارين.



المبحث الثالث عشر: طائر من كوة السجن

ومن الدروس الماتعة: اعلم أنه ما من مظلوم أو مكروب كالسَّجين ونحوه إلاّ وتأتيه رؤيا أو تُرى له، وربما كانت مترادفة، وفيها دلالة إما بشارة بكشف الغمة عنه فتكن تسلية له، لا سيما أهل التقوى، وإما إرشاد وإنارة بما يتوجب عليه لكي يجري له الخلاص، كما ذكرنا بعض الرُّؤىٰ في الجزء الأول، فإنه غالبًا مثل هؤلاء يأتيهم الفرج من الخارج بأمر الله، وهذا حال كل مكروب لا سيما إن كان ممن يدرك قدر الرؤيا، وإلا فالغالب عند العوام لا يأبهون بها، وهذا خطأ وسببه الجهل، ومن حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتت الرُّؤىٰ لغيره، ولكنها كانت عبورًا وسببًا لخلاصه، ومن ثم أتت رؤيا الملك.

ولما كان حال همّة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ عالية صوب مكة وهي موطنهم الأول أتت رؤيا نحو ذلك الأمر، وذلك من قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [الفتح:٢٧]، وذلك لتطمئن قلوبهم؛ لأن من كان في غربة عن بلدته وأهله فحاله شبيه بالسَّجِين.

ولذا عندما فُقدت رؤية الطبيعة للمسجون عدا أربعة جدران وفي الظلام؛ لم تذهب عليه الرؤيا، وهذا من نعم الله على عبده، فجعلها دلالة وبشارة فَرَجٍ وفَجْرٍ وفرح.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أسأل المسجونين أين فلان؟ فقالوا له: أتعني هذا؛ وأشاروا إلى حَمَامة؟ **قلت له**: لعل سجينك سيخرج عما قريب؛ لأن الحمامة تدل على أهل السلامة والاستقامة، فجرى ذلك وخرج بدون أذى حصل له، وبعد ذلك تبيّن لي أن الذي خرج هو الشيخ أحمد عثمان حفظه الله عندما سُجن في بلاد الحرمين.



وآخر وكان قد بدأ به سجن المرض يقول: رأيت رجلاً يرشدني أن آكل من عشبة في مزرعتي، وقد تكررت عليّ الرؤيا.

قلت: عجّل بها فإنك لا تدرك خطورة مرضك، ولن تشعر إلا وقد انتشر الداء في بدنك، فلم يفعل، فاشتد مرضه، ومن ثم قام بتناول تلك العشبة في حال مرضه ولكن لا جدوى فمات، فسبحان من سخّر الدواء من أرض العليل فإن هذا يوافق معنى الحديث الذي رواه أحمد، برقم: (٣٥٧٨)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أنزل الله داء، إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**». فلعل مكان الدواء في مكان الداء، وهناك فوائد نفيسة لمن تفطن لها.

ويُستدل مما سبق ذكره أن إشارات الظلام والظلمة لصاحب السمت الحسن في المنام دلالة على الكلام في عرضه، وهذا من الظُلم وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فافهم ذلك.







المبحث الرابع عشر: الطيور على أشكالها

ومن الدروس: دراسة ودراية معرفة الحال إما من رؤياه، وإما من شاكلته، وهذا عند من وفقه الله، وقد تحدثنا عن هذه الفائدة في دراسة رؤيا يوسف، وأعدتها هنا، وذلك لأهميتها فمن رؤيا السَّجين الأول والآخر كانتا دلالة على معرفة حالهما قبل أن يُسجنا، وأتت الرؤيا لكل واحد منهما بما يوافق حاله، وذلك من مهنته، وقد تقدم ذكر أهل التفسير في صنعة كل غلام، وإذا تأملت إلى حديث الرؤيا على قدم طائر إن صحّ فإنه يتوافق مع معنى هذا الفصل، وهذا يُسهّل للقاضي بأن يفتي ويأتي بحلول يوافق الحال وتليق به، ولهذا فاعط بقدر ما يليق به، وكان هذا المعيار الصحيح لدى نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تأويله وتكلّم به، وكان موافقـًا، ولم يعلم قبل دخولهما للسجن مهنة كل واحد منهما، وذلك من قولهم: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾[يوسف]، ولعل هذا يعارض ما نقله ابن جرير أنهما لم يريا شيئـًا، وإنما ليختبرا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ونستنبط من هذا أن التعبير إن كان لا يوافق شهود الرؤيا وحال الرائي فربما غير مقبول به، ودلالة أخرى من قول ابن جرير أن هناك حكمًا آخر لمن يكذب وسيأتي بيانه.





المبحث الخامس عشر: هل الرؤيا الصادقة يراها غير المؤمن؟

بوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه" فقال: (**باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك**). ثم أورد رؤيا الملك والغلامين مع يوسف في السِّجن، ويريد من ذلك: أن الرؤيا الصادقة قد يراها الكافر، والفاجر، والمنافق، وأشباههم من الناس.

وقد ذكر أهل العلم أقاويل عدّة، ومنهم ما ذكره عبد الغني النابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الرؤيا تصدق وتقع صحيحة من العاجز، والكافر، والفاجر، ومن الكبير، والصغير، والمجوسي المشرك، ومن النساء الحُيَّض، وغير الحُيَّض، ومن الجنب، ومن السكران، ونحوهم من أهل المعاصي. اهـ

قلت: الظاهر أن رؤيا مثل هؤلاء تأتي على النّدرة والقلّة، وإذا أتت تكن لأحدهم الدخول في الإسلام، أو في خير يناله دنيوي؛ لأن جنتهم الدنيا، أو شر يلحق به، أو فيها نفع للمسلمين، وهذا مستخلص من الكتاب والسنة، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا**» رواه أبو داود، برقم: (٥٠١٩)، وغيره.

وأمر الغلامين فقد بدأ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدعوة التوحيد لمصالح عدّة:

منها: التوحيد والاستسلام لحكم الرؤيا لما فيه نفع له في آخرته؛ أعني: للمقتول، وللآخر لمصلحة تتعلق بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد بضع سنين وغير ذلك من المصالح.

وانظر إلى رؤيا أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قبل إسلامها عندما رأت أن القمر سقط إلى حجرها، فغضب زوجها وفسّرها بأنها ستكون تحت ملك الرجل الذي يأتي من المدينة، يعني: نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكانت بشارة



بإسلام أم المؤمنين.

وقد ذكر بعض المفسرين أن ملك مصر أسلم على يدي يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا في الرُّؤىٰ المذكورة في كتب أهل السير التي بشرت ونبأت بمجيء وبعثة نبينا محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما ذكر ذلك أهل السير.

فائدة:

وهي ربما نعبّر رؤيا الزوجة بالزواج من رجل آخر إن كانت دالة على الزواج في حال زواجها، ولكن إذا وُجد شرطين في الزوج والزوجة:

الأول: إن كان الزوج فاسقـًا ونحوه.

الثاني: إذا كانت الزوجة مستقيمة.

فإذا وجد هذين الشرطين مع توافق أحداث الرؤيا فاعتبر بذلك أو بحكم آخر.

كما قالت لي امرأة: رأيت على يدي اليسرى زوجي وعلى يدي اليمنى أحد محارمي.

قلت: زوجك غير مستقيم وسيطلقك؛ لأن في الغالب جهة الشمال مذمومة، وتتزوجي برجل حسن، فطلقها. فافهم ذلك.





المبحث السادس عشر: الرِّفق مع رفقة السجن

ومن الدروس: قبل الخوض في بيان رؤيا الغلامين فإنك إذا تأملت في الرؤيتين ومآلهما تجد أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بدأ بذكر الرؤيا التي مآل صاحبها إلى أمر حسن، وكانت سبباً لخروج يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من السِّجن، ثم عقّب ذكر الرؤيا الأخرى وهي عكس الأولى، وهذا إن دل فإنما يدل على تقديم الخير واللِّيْن والرفق من قول أو عمل في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يُحصر ذلك في تعبير الرؤيا فحسب، وإنما في الأمور كلها، وهذا من الأسس التي أتى بها الإسلام، ومن ذلك قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «**بشروا ولا تنفروا**».

ومن القرآن من سورة الفاتحة بدأ بذكر الحمد، ومن ثم الرّحمة، وذكر ذم اليهود والنصارى في أواخر السورة.

وقس ذلك عند الجهاد في سبيل الله تعالى، فإنه يُخيّر الكافر أولاً بالإسلام وإلا فالجزية وإلا فالحرب، وعلى هذا النحو في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، وهذا درس ينبغي على طالب العلم أن يلازمه حتى مع الصغير؛ فابدأ له بذكر الجنة وما فيها ولا تبدأ ترهبه بالنار.

وأيضاً ليتفطن له صاحب الجرح والتعديل، ولم يكن دأب أئمة السلف في الحال الذي وصل به بعض طلبة العلم في زماننا، فقد وصل بأحدهم وكأنما ربقة السلفية بيديه يدخل فيها من شاء ويجرح منها من شاء، فنسأل الله الثبات والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة؛ ولله در شيخنا يحيى الحجوري، ونحوه شيخنا سليم الهلالي، وشيخنا عبدالحميد الحجوري، وغيرهم، في سيرتهم النفيسة تجاه أهل الأهواء والبدع.

المبحث السابع عشر: دهاء سجين.

ومن الدروس النفيسة: فإنه لم يبدأ ببيان التوحيد لهما من أول وهلة، فلعل ذلك يجري منهما عدم القبول، فإن مثل حال هؤلاء ممن هم ملازمي للخدمة لا سيما الخدمة أو الصنعة بين زوايا محدودة كخدمة الساقي والخبّاز ونحوهما غالبًا لا يتقبلون الأمر الجديد عليهم؛ لأنه لم يعاشر الآخرين، وكذلك ليس كثير الانتقال من مكان إلى مكان آخر للاطلاع على الأمور المغايرة وغير ذلك، فكان من فطنة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ولج إلى قلوبهم من بابهم بأمر يوافق حالهما وهو الطعام، وذلك من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ [يوسف:٣٧] لكي تتقبله قلوبهم ويوافق عادتهم كذلك، ولهذا بدأ في أول سورة يوسف قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف]. فتفطن لذلك.

ثم انتقل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعقّب بالتوحيد شيئًا فشيئًا، وهذا ينبغي على طالب العلم أن يتفطن له ويسلك هذا المسلك في دعوته، وما حصل من نفور لدى بعض العوام إلا بسبب ناشئة من طلبة العلم لكونهم لم يفهموا هذا الولوج، ولذا تجد جماعة الإخوان المفلسين يسلكون باب الرقة والابتسامة ونحوها حتى استجلبوا الأكابر والعوام، ولن يفلحوا، وذلك لكونها ابتسامة ذئب، فافهم ذلك.





المبحث الثامن عشر: توحيدٌ واتّباعٌ من السجن نَبَع

ومن الدروس النفيسة؛ بل أجلّها: ألا وهو درس التوحيد، وكأنّ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يبيّن لنا عِظم التوحيد والمتابعة، فقد اتبع ملة الأنبياء الذين من قبله، وهي إشارة لنا بالتوحيد والإتباع على نهج نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وإلا فلا.

والمتأمل في خطابه للسجينين يجده يحمل توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا هو الأصل، وذلك من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ودلالة على أن علم تأويل الرؤيا من علوم الشريعة وليس تنجيمـاً، ويُستدل لمن أراد الصواب فعليه البدء في التوحيد وبقدر إخلاصه يكن له ذلك، فكلما أخلص طالب العلم كان أتقن لتعبير الرؤيا ولغيره من العلوم، ولعل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأت دعوته من السِّجن، فإنه لم يبدأ بدعوة التوحيد جهرًا إلا في هذا الموضع، والله أعلم.

ولما كان التوحيد أساس العمل كانت سورة الإخلاص موجزة وتعدل ثلث القرآن، وذلك لما احتوت عليه من خيري الدنيا والآخرة.

وقس على ذلك كلما كانت الرؤيا قليلة الإشارات كلما كانت أقرب وقوعًا بعد تفسيرها الصحيح، وتحمل معانٍ عدّة بقدر همة الرائي، والعكس إذا كانت طويلة متشعبة، ومن يتكرَّر عليه الرُّؤىٰ الطويلة الغير واضحة فإن مثل هذا يتطلب من صاحبها

الاستفراغ لبدنه بأصول الاستفراغ الذي جاء به الطب النبوي، والله أعلم.

وإذا تأملت إلى رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ التي فيها نحر البقرات فإن النحر أسرع في ذلك، ولا يتطلب إلى زمن أطول، وعكس ذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنك تستشعر أنها طويلة لكنها مرتبة، وتحمل دلالات مختلفة، فجرى مآلها بعد زمن طويل، ولهذا **قال ابن شداد**: أقصى زمن للرؤيا أربعين سنة.

واستدل بذلك من زمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى مآلها وهذا القول له قوته، وتأملت مما يعضد قوله فوجدت من رؤيا أمنة بنت وهب والدة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ «**فقد رأت أن نوراً خرج منها** ...».

والمتأمل لحياة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بدأ بالرسالة عند سن الأربعين، وهذا الزمن هو ما مضى من رؤياها حتى بُعث، ولكن مكث بعد ذلك ثلاث وعشرين عامًا، وأضاء هذا النور بلاد الشام في زمن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا يناقض قول ابن شداد، ولهذا ليس على العموم، ونأخذ من قول ابن شداد مع ما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن دلالات الأربعين من كلام الله تعالى أن لفظة الأربعة، أو الأربعين، أو الأربعمائة، ونحو ذلك تدل على الوفاء بالمواعيد، وقضاء الحوائج، فافهمه.



المبحث التاسع عشر: نور على نور

ومن الدروس: ينبغي أن نقدم الأهمَّ على المُهمّ، وهذا تجده في جواب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فبدأ بدعوتهم إلى التوحيد قبل تأويل رؤياهم لاسيما وقد أدرك من رُؤاهم أن أحدهم سيُقبل على الآخرة، فبدأ بالنصيحة الثمينة، وهذا دال على فطنته وحسن إرشاده، ولذا عقّب ذكر الآخرة لهما في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧]، وكرّر بالضمير للقوم وذلك ليستوعبا حديثه فيحصل منهما قبول، ويكون ذلك خيرًا لهم في دنياهم وأخراهم، ولذا فإنه ينبغي لطالب العلم أن يلازم هذه القاعدة على علم وبصيرة لاسيما في زماننا، وقد كثر اختلاف المفاهيم لدى الناس في كل أمورهم، وبقدر توحيدك تُرزق حسن الفهم بإذن الله تعالى، والله يرزق من يشاء بغير حساب. فافهم ذلك.



المبحث العشرون: تمهيد بين الحديد

ومن الدروس: فإنه قبل أن يَحْكُم بَدَأَ بِذَم القوم الذين لم يسلكوا طريق الهداية وذلك من قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧]، ولم يبدأ بذم حال السَّجينين على ما هم فيه من الشرك، وبدأ بحاله ولسان مقاله، فكما قلتم أنه على صفة الإحسان فإني تركت ملة الكفر فعليكم أن تتبعوني لكي يحصل لكم النفع في الدارين بسبب صحبتكم لدي، وهذا هو جوهر العلم؛ ونظيره مما قام به أبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوة يوسف أن أمرهم أن لا يدخلوا من باب واحد، وذلك لكونه يعلم من الله وهو أعلم منهم، فكان هذا تمهيدًا لأجل مصالح عدَّة لم يتفطنوا لها في بادئ الأمر؛ ولعل هذا كان من عقيدة ملك مصر وشعبه آنذاك أن الإنسان إذا مات ينتقل إلى مكان آخر دنيوي، والله أعلم.





المبحث الواحد والعشرون: الولاء والبراء في السجن

ومن الدروس: كلما كان طالب العلم مُبغِضاً لأهل الأهواء والبدع كلما زاده الله من علمه وفضله بما لم يخطر على قلبه، وكلما كان محباً لأهل السنة كلما حصل له الخير الكثير وإن كان من العوام، وقس ذلك في عابر الرؤيا، فإن الله يسدده ويوفقه للتأويل الصحيح غالباً ويذاع صيته، وهذا من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف]، ولم يحصل من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الولاء للملك لكونه على الكفر في زمن سجنه، وهذا تجده من خطابه، فقد كان دال على البراء مما يعبدون من دون الله تعالى، وعلى الولاء لله وفي الله وذلك على دين آبائه وهو توحيد الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ "كما في مجموع الفتاوى": فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ وَالْكُفَّارُ أَعْدَاءُ اللهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ أَوْجَبَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَنَهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْتَفٍ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ. اهـ



المبحث الثاني والعشرون: نُبذ اليأس من الحبس

ومن الدروس: بث العلم في الشدة، فيصير دهشة، ويُوفق صاحبها للحكمة، ويكون نفع تلك الكلمة على إنسان طيلة عمره أو لأجيال، وذلك بقدر إخلاص وهمّة صاحبه، فقد جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بث العلم، وبدأ بعلم التوحيد، وهو في كربة السِّجن ولم ييأس، واستغل الفرصة في دعوة الفتيان، وكان ثمرة ذلك أن أتاه الفرج مما غرسه، وكما جرى من نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بصدق التوكل على الله عندما كان مع صاحبه الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] فلم ييأس نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يضطرب خوفًا منهم، بل بث الفأل في تلك اللحظة، ولما كانت أقدام قريش فوق أتربة وصخور الغار كان معنى الآية وصياغها تشير إلى الضد على ظاهر حال أهل الكفر، وذلك من قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾[التوبة:٤٠]، فلا شيء يعلو فوق الحق، وإن كان للباطل صولة وجولة، وذُكرت القصة في القرآن الكريم حتى قيام الساعة، فما أعظمه من درس نفيس انبثق في زمان ومكان حرج.

والمتأمل إلى قصة الغار وكيد امرأة العزيز لسجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيجد أن ما جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أشد من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وذلك أن أهل



الكفر أرادوا قتل نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ والفتك به بل وبذلوا وأذاعوا بالمكافأة النفيسة لمن عثر عليهما.

وعلى هذا فقس فيمن ابتلي بسجن بدنه ونحو ذلك فإن الله يوفقه لخير عظيم إن صبر واحتسب ذلك، والله أعلم.

وقد يُبتلى العبد بحرمان لذة مباحة وجُبلت الروح بها ومشغوفة بها، وإن كانت بين يديه، فإنك تجد الريحان يحمل ريحة طيبة ولكنه مُر المذاق، فإذا وجدت من كان حاله كذلك فقد ابتلي بجهد البلاء، والله أعلم.



المبحث الثالث والعشرون: إيمان بين أركان السجن

ومن الدروس: الإيمان بأركانه، ومنه بالقضاء والقدر خيره وشره، فإن المتأمل لخطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجد تعليمه للسجينين وللناس على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره فتتدبر ذلك.

فإن قلنا: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره فتجده من حديث يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين بعد أن أدرك أن أحدهم سيُصلب وهو القتل ونحوه إذا حكمت للرائي باقتراب أجله لا سيما إن كان مريضًا، أو بسبب آخر، فينبغي على المعلم والقاضي ونحوه العابر؛ أن يغرس ذلك للآخرين قبل أن يفتي في قضيته، وهذا مما جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والإنسان الصالح إذا أراد الله قبض روحه فإنه يرسل عليه الرُّؤىٰ أو يلهمه ليعد العدّة، وليوطن نفسه وليقم بما هو له وما عليه، وهذا تجده ملموسًا مع من عاشرتهم من الصالحين، وكما جرى لنبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وذلك من قوله: «**لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**» [رواه الترمذي، برقم: (٨٨٦)، وقال الألباني: صحيح]، وكذلك مما جرى من أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من فطنته العجيبة: أن النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ خطَبَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال أبو سعيد: فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟! إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. فقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ**» [رواه البخاري، برقم: (٤٦٦)]، ولهذا على المرء القبول بذلك.



وعندما رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قرائن إتمام النعمة عليه قال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١]؛ لأنه ما بعد الكمال إلاّ النقصان، والمعنى أن يتوفاه على الإسلام، وليس كما فهم البعض أنه طلب الموت.

كما قال لي إنسان: إنَّ مريضـاً قال: رأيت فلانًا الميت يمشي في السوق، ولكن كان حيـاً في المنام.

قلت: لعله مات مبطونًا، وأما المريض يموت مبطونـاً مثله.

فقال الرجل: صدقت، وقد مات الرائي بعد رؤياه بأيام.

وقالت امرأة: رأيت أني استضيف والدي المتوفي على مأدبة غداء وكان يمشي حبوا، فقلت له: لماذا تمشي هكذا؟ فقال لي: الطريق صعب.

قلت لها: اقترب أجلك، فماتت بعد بضعة أيام.

ودليله: أن الضيافة تفسر أحياناً بالضد وهنا دل على العزاء.



المبحث الرابع والعشرون: الدنيا سجن المؤمن

نتعلم أن السِّجن ليس عيباً أو ذمّاً بل هو محراب الصالحين والنبلاء وذوي الأقدار ممن سلك منهج أهل السنة والجماعة، وإن أضعف البدن لكنه أهون من ضعف الروح وذلك بالتخلي عن المبدأ، وقد جاء عند مسلم، برقم: (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»، وذلك لكونه مقيد عن الملذات المحرمة، وفيها من الابتلاءات وهو خير له، وقد يُقيد العبد المسجون عن الدنيا وسط سجن آخر كما جرى لنبي الله يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ فقد سُجِن في غرفتها بعد أن أغلقت الأبواب، وسَجَن نفسه عن المعصية، ومن ثم جرى له الولوج إلى سجن آخر، ولم يكن نقصاً في حقّه بل كان يعلم من في المدينة ومَن في القصر أنه براء، ولكن أراد الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذلك؛ لأنه ينتظره نصر وعز وتمكين.

وقد حُبس الصحابي خبيب بن عدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في مكة، فنال عطايا من الرحمن في حياته وبعد مماته، ففي حياته قالت مارية مولاة حجير بن أبي إهاب: حُبس خبيب في بيتي، ولقد اطلعت عليه، وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، ومعلوم أن مكة لا يُزرع في تربتها العنب وهذه كرامة، وعطية الشهادة وما أعظمها، وهو أول من سن هذه السنة أعني الركعتين عند القتل، ففي "الصحيحين" أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إن خبيب بن عدي الصحابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حين أخرجه الكفار ليقتلوه في زمن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: دعوني أصلي ركعتين، فكان أول من صلى الركعتين عند القتل.



وقد سُجن الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوجد في السجن سلوته وخلوته وراحته وامتزجت روحه بمن سلف وأخذ ينحت على جدرانه أحرفـًا نفيسة، وذلك مما وجد فيه من هدوء لروحه لكيلا يشغله شاغل عن محبرته ليزهر سجنه بمصابيح فريدة إلى يومنا، ولئن خُيّر بين السِّجن أو الخروج لاختار السِّجن، وذلك لأنه ذاق معنى الإخلاص في الشدة ووجد لذة المناجاة والعبادة، فكان هذا زاده في الخلوة وقوته، وعندما سجن في دمشق كتب لتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لو أنفقت ملء هذه القلعة ذهبًا للذي سجنني ما وفيت حقه، ولقد فتح الله عليَّ في هذا السِّجن من علوم القرآن ما يتمنى بعضه كبار العلماء، وإني نادم على إضاعة الكثير من عمري في غير القرآن الكريم.

وقد نعت أخباره، وحكى أسراره.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. اهـ

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. اهـ

يقول تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم الله، ما رأيت أحدًا أطيب عيشـًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشـًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبـًا، وأسَرَّهم نفسـًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحـًا وقوة، ويقينـًا وطمأنينة، وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اهـ



وكم من خارجي يفرح بشعور الهوى والشيطان فيتصور حاله كحال ابن تيمية، وهذا بسبب تعلّق القلب بمدخل مسدود والعجلة للسُلَّم لأجل الصعود، وهو معووج فتمكن الشيطان عليه من هذا الباب، وقد سُجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن الخليل، وهذا درس ماتع طيب لكل مظلوم ومسجون بأيّ صورة كان ذلك السِّجن الذي ابتلي به، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

ومما جرى للإمام أحمد بن حنبل وكذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية ليس عيبًا في حقهم، بل صاروا منارةً للأمة جيلاً بعد جيل.

وفي زماننا من يَنْبُحُ في عَلَم علماء الأمة كمن يتكلم في البخاري أو في حق ابن تيمية أو في حق شيخنا الألباني رحمهم الله جميعًا، ولكن أنَّىٰ لهم ذلك؛ فالنجوم نجوم حتى قيام الساعة، والكلاب كلاب يذهب أبدانها بعد موتها مع مخالب الطيور أو في مهب الرياح.





المبحث الخامس والعشرون: سلامة الفطرة حتى في الظُّلمة

ومن الدروس: أن صاحب الفطرة السليمة تتكيف مع فطرة الأبوين، وإن تغيّرت فِطر من حوله فإنك لو تأملت في حياة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد غاب عن والديه وهو في سن الخامسة عشر أو أقل من ذلك على ما ذكره أهل التفسير، وطال غيابه عشرات السنين؛ ولكن فطرته السليمة لم تتلوث مع أنه عاش في قصر العزيز وهم على الكفر، وتكلموا في عرضه، وكذلك مكثه مع المجرمين في السِّجن، وتجد هذا من قوله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف:٣٨]. وهذا يوافق قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مما جاء عند البخاري، برقم: (١٣٥٨)، ومسلم، برقم: (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ**»، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم:٣٠].

والموفق من وفقه الله لذلك، والعجب أنك تجد من طلبة العلم عليه الهيبة والوقار ولكن تجد فيه أحياناً نتن الحمية الجاهلية! أو تَفَلُّت في قول أو عمل؛ ومثل هذا بليّة على نفسه، والسبب في ذلك تسلّط كَم وكَيْف الماضي، أو نزغة السوء وتغلبها على الحسن.

وإياك يا صاحب الفطرة السليمة أن تتوقف أو تلتفت بسبب أن قميصك قُدَّ، ولا تحزن ممن قام بالوشاية عنك ممن لهم مكانتهم عند الفقيه الفلاني، ولا تعاتب من لم



يقف معك، ولا تتحسر أن قضيتك ضعيفة لكونك طالب مبتدئ وحال المعتدي أرفع مكانةً وأطلق لسانًا؛ فالوقت يمر بصورة مفزعة، وصاحب الفطرة السليمة عليه حِمْلٌ لابد من القيام به لمصالح البلاد والعباد، ولذلك كان قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ [يوسف:٣٨]، ثم عطف على الناس، ولكن الكثير منهم لا يرعى حق هذه النعمة، وذلك من قوله: ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

فبعض العباد يُمحصه الله بالبلاء منذ صغره لكيلا يهلك في كل بلاء يصيبه عند بلوغه سن الرشد، فيُلهَم الصبر عند كل بلوى، فافهم ذلك.



المبحث السادس والعشرون: مسألة نفيسة

ومن الدروس: نعلم أن نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس من بني إسرائيل، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل، إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ودينهم واحد.

ولهذا نضع هنا فائدة ملغزة فإنك تجد يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال في السِّجن: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، ولم يذكر إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن تجده ذكره مع إخوانه في موضع آخر؛ وذلك في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣]. فالسؤال كان موجّه من يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إلى بنيه ولا شك أن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحد أبنائه، وممن أجاب كذلك على سؤاله، وذكروا فيه إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن في السِّجن لم يذكره؟!

ولعل السبب في ذلك دلالة على أن العم صنو الأب.

ولعله أيضاً أن المقامين مختلفان فالأول مقام دعوة وتحدي، فاحتاج إلى ذكر آبائه الأقربين ليثبت صدقه ويتقوى بنسبته، وأما الثاني فهو مقام التذكير بحسن الظن بالله عند الموت وتطييب خاطر الوالد ونسبته إلى نسل شريف فيه الجد والعم والأب المباشر لتعلوا همته عند موته بملة إبراهيم السمحاء ويموت عليها قرير العين بتوحيد ربه كما مات جده وعمه وأبوه.

ولعل هناك سبباً آخر لم نطلع عليه إن كان في كتب أهل التفسير، والله أعلم.

ومن هذا الترتيب النبوي كما في الآية المتقدم ذكرها؛ فلعل الأسباط المذكور في مواضع عدة في القرآن الكريم دال على أن له ارتباط بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته، ويتوافق مع ما ذكره أهل التفسير بأن الأسباط هم أولاد يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والبعض ذهب إلى أنهم الأحفاد، وهذا الاختلاف لا يعارض بصلته بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنك تجد ذكر الأسباط في القرآن الكريم بعد الآية المتقدم ذكرها في مواضع عدة من سورة البقرة أيضاً على إثر سؤال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأبنائه، ومن ثم ذُكر الأسباط عقب ذكر يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السورتين التي بعدها.

ويا ترى هل هناك من أهل التفسير ذكر بأن الأسباط هو يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

وما سبق بيانه يُستنبط منه فائدة جليلة وهي أن هناك مفاهيم مليحة بين سورة البقرة وسورة يوسف سيأتي الخوض فيها عند رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.





المبحث السابع والعشرون: نعمة تجلو غم الشدة

ومن الدروس: أن من أجل النِّعم وأفضلها على العبد نعمة الإسلام، ولا يستشعر بذلك إلا من وفقه الله لا سيما عندما يرى أهل الكفر في بلدانهم على ما يعبدون من دون الله، فذلك يسجد لبقرة! وآخر يسجد لفأر! وآخر يسجد لفرج امرأة! وآخر يسجد لنار! وآخر يسجد لصليب! والمسلم قد امتن الله عليه بنعمة الإسلام، ولذا تجد هذه النعمة من خطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

ويُفهم أنه لا تنسَ من اهتديت على يديه أو أحسن إليك لا سيما بمعرفة السُنَّة بعد أن كنت مع أهل الأهواء أو على جهل؛ ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ الله**»، [رواه الترمذي، برقم: (١٩٥٤)، وقال الألباني: صحيح].

ومن الحديث نجد دلالة مليحة من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه لم يصدر منه إساءة قط نحو العزيز وامرأته مع أنهم كانوا على الكفر بجوار ما جرى منهم من ظلم؛ وذلك لأن الكريم لا يغدر ولا ينسى المعروف القديم، وأيضاً لأن همته عالية؛ ففي قلبه ما هو أهم من ذلك ألا وهو الدعوة إلى التوحيد، وهو في قاع جُبِّ السِّجن، ولم يصدر منه تجاه إخوانه بقدر ما جرى له من النصب والتعب من قِبَلِهم، وهذا درس مليح ينبغي أن نتدبره ونعمل به.

المبحث الثامن والعشرون: جرح وتعديل في السجن

ومن الدروس: نستنبط منها علم الجرح والتعديل، وهذا تجده من قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]، فإنه من تعلّم علم التوحيد وعمل به ودعا إليه يجد اعتراضًا من قِبَل أهل الأهواء، وذلك من شبهات وشهوات، فيكن حينها متمكنـًا في كشف شبههم وافترائهم وبدعهم، وينبغي لطالب العلم أن يتعلَّم كيف يقبض القلم فيكن كالسيف ذو حدين، وهو أن تُلْجِم خصمك إن لم يرتدع باللّين والرفق بطرح سؤال التخيير لِلتَّبْيين، فيكون اختياره دليلاً على بطلان ضلالته بأي وجه اختاره، وهذا تجده في الآية المتقدم ذكرها.

ونظير ذلك في المباهلة، فإن جرى من الخصم الصمت فحينها يُبرهن طالب العلم بالحجة والدليل القاطع، وذلك من قوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف:٤٠]، ثم يقطع يقينـًا بالحكم الفاصل ويدمغه بالبرهان، وهذا من قوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف:٤٠]، ونظير ذلك مما جرى من نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع النمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة: ٥٨]، فتجد إجابة الخصم لأبينا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السؤال الأول إجابة ركيكة وضعيفة، ومع ذلك على وجه المباشرة طُرِحَ له السؤال الآخر، وهذا درس لطالب العلم أن يتزود من العلم طيلة حياته، حتى يكون على استعداد لأي دخيل؛ فإن أهل الأهواء تتلون



ردودهم، أو يظل حالهم في صمت، وهذا من شدة حقدهم لا سيما في زماننا، ولكن مآله مبتور، فحاله كمن شرع في الصلاة ولم يقرأ الفاتحة، ولن يفتح الله عليه وزاد الطين بلة إن صلّى بطلابه أو بالعوام وسلكوا دربه، والله المستعان.

وقد جرى السَّعد على الملك ورعيته عندما أذعنوا لقبول الحق، وإن كان الحق من فرد غريب، وعبد سجين، فليست العبرة في كثرة السالكين، ولكن العبرة فيمن نجا.

وهذا أصل بكيفية التعامل مع أهل الأهواء والبدع، وفي طيات هذه الآيات فوائد ملاح فيما يتعلق بالجرح والتعديل، فتفطن لها.

وإذا تأملت تجد مراحل حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ بالتوحيد، ثم التأويل، ثم سياسة البلاد، ثم الجرح والتعديل، **فإن قلت:** أين درس الجرح والتعديل بعد سياسته للبلاد؟

قلت: ما جرى منه من إثبات الحجة عند الملك مما صدر من كذب تجاهه من قِبل امرأة العزيز ونسوة المدينة، وهذا وجه من ذلك، ونعتبره وجهًا باطنيًا دنيويًا، أي داخلي فيما بينه وبين خصومه، ووجه آخر ديني وهو ظاهر وقام به في أواخر سِنه تجده في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: ٣٤]، والشاهد على سن مرحلته في ذلك من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ أي حتى إذا توفي.

ومن الآية صلة مليحة، وذلك من معنى البيِّنات، ومعنى الكواكب على ما تحدثنا عنه في دراسة رؤياه تشير إلى البرهان القاطع الواضح الجلي كنور القمر عند اكتماله، والشمس في رابعة النهار، فافهم ذلك.

المبحث التاسع والعشرون: أذعن للحق من عبد

ومن الدروس: أن من الأسباب المؤدية للفساد: الكِبر، ومنه التقليد الأعمى، فيُحرم العبد البصيرة للطريق المستقيم، وعلاج ذلك بالضد، وهو التواضع والإذعان، فيحصل العلم على بصيرة من الله سبحانه وتعالى ونور، فيفقه فيما مضى لما هو آتٍ، وما جرى لإبليس من الطرد واللعنة إلى يوم الدين إلا بسبب كبريائه؛ فجعل خيله به يصول ويجول على كثير من الجُهال، وممن تحزّب فأفسد، وقد كان من قبل على خير عظيم، ومن كان حاله كذلك فإنه يوافق حال من احتجوا أن آباءهم وأجدادهم كانوا على ذلك؛ لأن لسان حاله: لا أتقبل إلا من معلمي! وأسلك نحو ما سلك! وإن كان على اعوجاج؛ لأن نفسه لم ترضخ للحق من غيره لا سيما إن كان أصغر منه سناً، أو كان قليل العلم، ومعه حجة باهرة، وهذا الأمر أخطأ فيه كثير ممن يدعي أنه من الطائفة الناجية في زماننا، وما ظلموا إلا أنفسهم، فكان حال السَّجينين أفقه منهم، وشتان بين بلال بن رباح رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وبين أبي جهل، وما ذكرناه مستنبط من خطاب يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف:٤٠].

ومن دلالة الآية أيضاً لعل في زمن يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان في بلاد مصر آلهة عدّة ذات مسميات مختلفة، وأيضًا من قوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ [يوسف:٣٩]، والله أعلم.

وليعلم الخصم صاحب الحجة الواهية أن التفرق لا يُوَحِّدُ الصف، والقوة في لَم



الشمل قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فإن الفساد يصدر ممن لم يرضخ لقبول الحق، وكلما كان طالب العلم غير معرض عن النصيحة كلما رفعه الله سبحانه وتعالى، فإن الملائكة تضع أجنحتها مع رفعتها وجليل قدرها لطالب العلم الذي يحمل هذه الصفة النفيسة، وصارت من نُدُر النُّدر.

والآفة التي أصابت الكثير من طلبة العلم لا سيما الدعاة والنبتة المطلة الجديدة هو أنه أعور السمع، أي: يسمع من طرف واحد ولا يسمع للطرف الآخر، وهذه معضلة عواقبها وخيمة، فإن صاحبها سيأتي يومٌ لا يُسمع له جملة وتفصيلاً.

وما جرى من الملك ورعيته مع يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آية بل مدرسة للأمم بالسلامة والنجاة لمن تواضع للعلم ولأهله، فإن الله سبحانه وتعالى يحفظه وإن كان من العوام، فكيف بطالب العلم!

ولقد ضرب لنا ملك مصر مثالًا نفيسًا فيما قام به حيث أذعن لعبد غريب سجين، ومن تأويل رؤياه؛ فحفظ الله سبحانه وتعالى ملكه ورعيته ومعيشتهم، بل وجاءهم الناس من بلدان شتى، وعكس ذلك مما جرى من فرعون مع موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث أعرض واستكبر مع رؤية الأدلة والبراهين الواضحة القاطعة فجرى له الخزي والذل والصغار والعذاب في الدنيا والبرزخ والآخرة، وتنكَّد أتباعه، وهذا مثال آخر لمن يعرض عن الحق وعلينا أن نتدبره فهو مدخل خطير خفي لإبليس فاحذر.

وصورة أخرى من الكبر عدم الاستماع للمظلوم، وهو الطرف الآخر لكونه طويلب

علم، أو ضعيف اللسان في الوصول، أو لم يُطلب من قِبل القاضي للرد على المدعي، فيتلقى المظلوم بصورة مباغتة جور وظلم من القاضي، وهذا يدل على أن القاضي إما يتحاشى من سلاطة لسان المدعي؛ وهذا هل هو معذور؟، وإما جاهل أو في نفسه شيء رديء بل وصل بالبعض أنه لا يقبل من الخصم البتة، ولو نظر لحوار فرعون مع موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأمعن في قوله: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[طه: ٤٩]، ومن قوله: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[القصص: ٥١]. لربما يدرك أنه وقع في خطأ جسيم نخشى عليه من عواقبه، فإن رياح الكبر تعصف وتُفرّق ثباته شذر مذر، فتفطن لذلك.





المبحث الثلاثون: تعدد الباطل من تعدد كواكبه

ومن الدروس: دلالة أن الباطل يَفتُر عند المرضى إن لم يتعدى إلى صورة مغايرة، وذلك في كل زمان ومكان، فعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إنَّ وَراءَكم فِتنًا يكثُر فيها المال، ويُفتَح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمِنُ والمنافِق والرّجلُ والمرأة والعَبد والحرّ والصّغِير والكَبير، فيوشِك قَائلٌ أن يقولَ: ما للنّاسِ لا يتَّبعوني وقد قرَأتُ القرآنَ؟! وما هم بمتَّبعِيَّ حتى أبتَدِعَ لهم غيرَه، فإيّاكم وما ابتَدَع، فإنما ابتدَعَ ضلالةٌ. [رواه أبو داود، برقم: (٤٦١١)، وقال الألباني: صحيح موقوف]، فيأتي بأمر مغاير ويصول به ويجول في كل زمان ومكان وبمسميات وأعمال مختلفة، وذلك من زخرف القول غرورا، فإن زخرفة الشيء لا يكون إلا بألوان مختلفة ليزداد حسنه، فيتمكن من قلوبهم ويصير منهاجًا عند أولادهم وأحفادهم وإلى زيادة في كل جيل، وهذا هو حال الباطل من قِبَل الشيطان تجاه أتباعه، وهذا من قوله: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف:٤٠]، ولعل حال مصر كان كذلك وهو مُشاهد في زماننا من أسماء عدَّة لتلك الصور المصنوعة من الأحجار، وكذلك كثر فيها الفِرَق والجماعات، وكذلك الشعبذة والدجل ونحو ذلك، كما حدثني أحد المعارف وهو شيخ قبلي بعد رجوعه من مصر ذهب لأجل الدواء، فقال: لم يعد أهل السنة إلاّ أهل اليمن.

وذلك مما رأى من منكرات ومفاسد عدَّة، لكن فيهم خصلة حميدة وهي حبهم وتعظيمهم لهذا الدين الحنيف.

ولما كانت رؤياه فيها كواكب عدّة كان للباطل وجوه عدّة، ودليله من خطابه للسجينين. فافهم ذلك.

المبحث الواحد والثلاثون: ومن الحديث: لا إحداث

ومن الدروس: تحريم الإحداث في الدين، وذلك من قوله: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف:٤٠]، فما تَعَبَّد به القدماء من آبائكم وما أنتم عليه من الشرك ليس له حجة ولا دليل على صوابه، فكل عبادة ليس لها دليل من الكتاب والسنة فهي مردودة على صاحبها، ولا بد من زجره وقطعه بالحجة والبرهان، وكما في "الصحيحين" من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» فمن زاد فقد ادعى النقص من نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحاشا وكلا، فقوام الدين ثابت على التوحيد والاتباع، وهذا تجده من قوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف:٤٠]، ولا قوام للعباد إلا بالدين القيم الذي لا اعوجاج فيه، ولا مخلص لهم عند الشدائد والكربات والمحن والفتن إلا بالعودة إلى الاعتدال، ولما كانت فطرة الناس سليمة لأن الباري سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقهم عليها، وأُمروا بها حتى مماتهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠]، كان تغيير ذلك جرم وظلم عظيم، ومن اعوج فإنما يعوج على نفسه.

ومن تلك الأمور المخالفة للفطرة إتيان الذكران، ولما كان اللواط مخالفاً للفطرة والقلب والطبيعة وحتى عند الحيوان كان عذاب قوم لوط من أشد العذاب، وكان من جنس ما قاموا به، فجعل عاليها سافلها، وذلك بحال مقلوب فصار الجزاء من جنسه.

المبحث الثاني والثلاثون: نور وسط ظلمة السجن

ومن الدروس: أن أكثر الناس مآلهم إلى الشرك والجهل والبدع فيمن مضى في عصور الأنبياء والرسل، وكذلك في زماننا، وهذا معلوم في كل فترة؛ وذلك بسبب فقدان العلم، وهذا من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠]، والأكثرية هنا كَمّاً وكيفاً، فالكمية الكثرة، والكيفية بفقدان العلم وطغيان الجهل، وهذه سنة الله في خلقه في كل زمان ومكان، وذلك لحكمته البالغة، وفقدان العلم هو بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، وكلما اقتربت الساعة كلما كان الحمل على طالب العلم في ذلك الزمان أشد عليه، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد اجتمعت عليه كربة السِّجن وغربة الدين في الموطن الذي هو فيه، ولم يكن له ظهير إلا الله تعالى، وغربة البلد وعن أهله وذلك في زمانه فكيف الحال في زماننا؟!

وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ موحدًا فريدًا في سجنه، وجواره في وسط السِّجن الكثير من أهل الجهل، ولئن أسلم أهل مصر في زمانه فهي ببركة ذلك النور الذي بدأ من السِّجن، وذلك بحسن إخلاصه وحُسنه فكان من أحسن القصص.

ويُستنبط أيضاً من الآية المتقدم ذكرها أن أكثر الناس لا علم لهم بِقَدر الرؤيا وعلم التأويل، بل يجعلونه من الشعبذة والكهانة، بل وصل هذا الحال إلى البعض ممن ينتسبون للعلم الشرعي. والله المستعان.

المبحث الثالث والثلاثون: توحيد من وحيد في رؤياه وحُسنه وسجنه

ومن الدروس النافعة: أن المتأمل في خطاب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين يجده كله يتركز حول التوحيد، وذلك من نصحه وإرشاده، إلا الآية التي تحدث فيها عن تأويل رؤياهم، وهي آخر آية في حواره معهم، وفي هذا توجيه لطلبة العلم وللأب والأم ونحوهم أنه ينبغي تكثيف جهودهم في تعلّم التوحيد، وعدم الملل، وينبغي تنوع دروسه بأحوال مختلفة بعد استنباط حسن من غير مخالفة لقواعده وأصوله، وهذا تلتمسه من نصح يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن أهل الباطل يعملون على هذا النحو ليلاً ونهاراً، ولا يفترون في كل زمان ومكان، لا سيما عندما يرون الساحة خالية من نور الحق، فيسارعون ويزيدون من ظُلمة مفاهيمهم الباطلة فوق الظُلمة التي عليها العباد، وينبغي أن تكون دروس التوحيد قليلة الألفاظ كثيرة كثيفة المعاني، وهذا نجده من درس التوحيد من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد ميّزه الله في رؤياه، وفي حسنه، وفي قصة سجنه، فافهم ذلك.



المبحث الرابع والثلاثون: حَبْس الحديث في الحبس

أي تكتيم الحديث، فمن الدروس النافعة: دلالة على كتمانه للسر، لا سيما بعد أن قيل له: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [يوسف:٢٩]، فلم يبح بما جرى له من ظلم من قبل العزيز، ومن مكر امرأته عند السُّجَنَاء طيلة فترة سجنه حتى بعد تأويله لرؤيا السَّجين الأول، فلم يبث له شكواه لكي تكون حجته قوية ليذكره عند ربه، وإنما كان ظاهرًا من دون ذكر باطن شكواه، ودليل ذلك عندما قال له: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ ﴾ [يوسف:٥٠]، إذ لو كان قد أخبره من قبل لما كرّر عليه ذلك، أو ذكر قصته عند الملك قبل الذهاب إليه أو بعد تأويله، وهذا زاده حسنًا وجمالاً، فالحياء لا يأت إلا بخير.



المبحث الخامس والثلاثون: رسالة من سجين

ومن الدروس: أن درس يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين لم يكن لهما فحسب، وإنما كانت رسالة للملك ولمن حوله، ومن ثم تصل لرعيته، ولهذه الأمة، فقد ذكرها الله في كتابه الكريم المنزل على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لأمته، وذلك لما فيها من دروس قيّمة وعبر وعظات نفيسة، وهذا إن دل فإنما لحكمة الله سبحانه وتعالى.

وبسبب إخلاصه، وهو في ظُلْمَة وكربة السِّجن فحصل له مراده من نفع العباد، بل وزيادة، وذلك من قِبَل أكرم الأكرمين؛ لأن المتأمل في أمر الساقي فبعد خروجه من السِّجن ومكث بضع سنين وتذكّر أمر يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين رأى الملك رؤياه فلعله سيحكي للملك عن عقيدة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك لكونها غريبة على عقيدتهم المبجلة لديهم.

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره أن الملك أسلم على يديه، وهذا درس نفيس لطالب العلم بالسّعي والمجاهدة والمصابرة للوصول إلى القمة إن علم الله سبحانه وتعالى فيه علو الهمّة فلا تجعلها تحوم حولك أو بين الجدران، بل أخلص في ذلك لكي تكن نافعة للعباد أجمع لكل مكان وزمان قادم، وإن أتتك رياح محملة بأغبرة فلا تكترث بها، ولئن صَدَقت نيتك فإن الله سيبلغك مرادك، ومثل هؤلاء صاروا من صفوة الصفوة، فأين هم؟

ولما كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخلصاً وعالي الهمّة جعل الله سبحانه وتعالى قصة حياته مفصَّلة مرتبة مع أنها جرت قبل آلاف السنين.



ولهذا كان آخر السورة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]، ولم تُحك قصة نبي آخر في كتاب الله مُفصلة كقصتي يوسف وموسى عليهما السلام - سوى حياة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فهي أكثر تفصيلاً، والله أعلم.



المبحث السادس والثلاثون: سجن الغضب

ومن الدروس: عندما يستشعر السَّجين بأن بين يديه جدار ومن خلفه جدار، وكذلك عن يمينه وشماله ومن فوقه؛ فإنه يستخلص من ذلك الخضوع والصبر وكتم الغيظ، وعدم التسرع في الحكم مع اطمئنان القلب، وهذا لا يصل إليه إلا قلّة عند البلاء، وكلما كان صابرًا محتسباً زِيدَ أو طال بلاؤه وذلك لرفعته، فأهل البلاء نبلاء.

ومكنون هذه الفائدة مستنبط من حياته في السِّجن؛ فعندما طلب من الساقي ذكره عند ربه وانتظر مطلبه عسى غداً أو بعد غدٍ ثم طال بلاؤه فلم يجزع ولم يدع الله سبحانه وتعالى بأن يخرجه من السِّجن كما دعاه بالولوج إليه، فإن السِّجن للصالح يمحصه لكي يصل لخلاصة الأمر النفيس، وهذا درس يُدهشُ العقول من هذا النبي العظيم، فإنك لا تجد آية تحكي عنه من قول أو فعل إلا وفيها خُلق حسن نفيس، ونظير ذلك عندما أحسن إلى إخوانه عندما صُبّ من قِبلهم غضب باطل مجوف من جميعهم ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ [يوسف:٧٧] فلزم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصبر ولم يغضب مع أنهم تحت كرمه، وعندما كان عبدًا مطاعـًا نافعـًا للعزيز وزوجته جرى منهما عكس ذلك، وهذا درس آخر في التأني وعدم اتخاذ الرد العاجل عندما يأتيك من قبل لئيم أو من فاسق أكاذيب وأباطيل ينسبها إليك، أو ينبش أسرارك وعيوبك وعن أهلك لا سيما إذا كنت تُكن له المودة والطيبة من قبل، واطلع على حياتك لكونك تجلّه، ولكن صاحب المعدن الرديء يظل رديئًا وإن طُلي بالذهب الحميري الخالص.



ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يتحلّى بذلك، لا سيما عندما تُصب الفتنة عليه وتُصب الخصومة والكلام في عرضه، فعليه أن يتمسك بدلو الصبر، وليتجرع منه المُر ولا يتعجّل في طلب سيارة البراءة، وستأتي يومًا ما من خصومه كان من كان، فإن هذا الدين لا يُنال إلا بالصبر واليقين.

ونقول لمن ظَلَم وللمظلوم: ظلموا أنفسهم فظلموك، وقد قال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقولها: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ﴾ [يوسف: ٥٢].

واعلم أن المظلوم منصور في الدنيا والآخرة، والظالم لا يفلح لا في دنياه ولا في أخراه، فإنه يدفع الفاتورة مرتين، كما قال بعض السلف، فلا تحزن.

فائدة:

نتعلم من قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس مليح لو تفطنت له، وهو: على طالب العلم لا سيما طالب هذا الفن أن يوطن نفسه على الصبر وكتم الغيظ، ويتطلب ذلك إلى عزيمة وإصرار بعد سؤال الله سبحانه وتعالى ذلك، وعلى العفو عند القدرة، ولما كان التعبير من العبور ولابد من الحمل والحِلم والمجاهدة برع فيه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بصبره على مِحَن مختلفة، وعفوه وصفحه، ولذا نجد في الغالب من يسلك ويبدأ بهذا العلم يتقهقر وتجده يضيق منه وينفر منه لسبب من أسباب، ولم يدرك أنه لابد منه.

واعلم أنه عند طلبك لهذا العلم لا بد من أن تعمل الروح وحواس البدن وتصبها في مصب واحد مما يُثقل ذلك على روح العابر، ولو تأملت إلى رحلة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الخضر كما في سورة الكهف لأدركت هذا المعنى، وكان الخلاصة

قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

فأهل العلم هم أهل الصبر والصفح وإلا فلا، وإذا أردت أن تدرك قدر طالب العلم فانظر إلى صبره عند البلاء، فأهل الصبر من أولي العلم من نُدُر النُّدر، ولسان حالهم كما أشعر به الربيع في المنام: **ونصبر صبرًا فوق صبر الصابرين صبرًا**.

وقد ضرب لنا نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أنفس الأمثلة في كتم الغضب ومن ذلك مما جرى في صلح الحديبية، وعند تقسيم الغنائم في يوم حنين. فافهم ذلك.

فالناس في هذه الحياة في زحام، ويحكم الله بالعدل، والحبل نازل من السماء، وحالهم في ضوضاء، والموفق من يمسك ذلك الحبل ويفوز، فيقال: فاز فلان فتغبطه الناس، ويا حسرتاه لمن ظَلَم وجثى على ركبتيه، وهنيئًا لمن ظُلم وصبر فذلك الخير العظيم، ولئن رفع يديه فإن عفوه بعد ذلك به يختم، والله المستعان.



المبحث السابع والثلاثون: نما السجين ثم نمت الزرع

ومن الدروس: أن جمالك في صبرك؛ فتزكية المرء تنبع من علمه، وذلك بقدر إخلاصه فيكن له الصيت الحسن، ومحبة العباد له، وكذلك الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]. فَعقَّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرفعة بإخلاص قلب العبد، وهو الخبير والمطلع على سرائر قلوب العباد، فانتبه لهذا الأمر، وإذا فَتَّشْتَ في كتاب الله سبحانه وتعالى فلن تجد تخصيص لفظ الرفعة لأهلها إلا في هذا الموضع؛ وذلك لرفعة العلم، ولمَّا كان العلم وأهله في العلو كان الله سبحانه وتعالى فوقهم، وهو العالم وعلمهم من عنده فَعلَّمهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

وعندما طلب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الخروج عن طريق الساقي لم يكن له الخلاص والعلو والرفعة إلا بسبب العلم، وذلك من تأويل رؤيا الملك، فليست العبرة في ثناء أو تزكية الفقيه تجاهك، وإنما بإخلاصك، والله أعلم.



المبحث الثامن والثلاثون: رقة من رقيق

ومن الدروس: إذا ظُلم العبد فلا بأس أن يدفع ذلك بالأسباب، كأن يستعين بمن له جاه أو قدرة على تخليصه من غير ضرر أو خروج يؤدي إلى مفسدة، وهذا جرى في عصر النبوة لبعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولا يعني ذلك الشكوى إلى غير الله، بل هو من فعل الأسباب، وتركها قدح في الشريعة، وهذا مما فعله نبي الله يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مع الساقي لكي يَذْكره عند ربه وهو الملك، وإنك لتجد من خطابه مع الساقي رقة وأدبًا وتواضعًا ولُطفًا، وهذه من جملة أخلاقه الحسنة.

وقفة:

ما نُقل عن بعض أهل التفسير أن الشيطان أنسى الساقي ذكره عند ربه كان تأنيبًا لكونه لم يلجأ لخالقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ! فهذا القول فيه نظر؛ فكيف بنبي كريم مكروب ينسى خالقه واللجوء إليه في الشدة والمحنة الطويلة! بل إنه يزيد من التضرع لله سبحانه وتعالى، وإن كان كذلك لجرى له العتاب من الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما جرى لنوح عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في شأن ابنه، ولعل من ذهب إلى هذا القول التبس عليه من الإسرائيليات حتى تَكيَّف وصدر حديثًا من ضعيف جداً.

ولعل الصواب -والله أعلم-: أن الشيطان أنسى الساقي ذكر قضية يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عند الملك لكيلا يخرج من السِّجن، ودليل ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥]، فقد ذكر القرطبي: إن الهاء تعود على الناجي، فهو الناسي، أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه، أي: لسيده، وفيه حذف، أي أنساه الشيطان ذكره لربه، وقد رجح بعض العلماء هذا القول،



فهنا معطوف معنى الآية على التي قبل رؤيا الملك، وهو التذكير بعد النسيان، وذلك من لفظ ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [يوسف:٤٥]، وكما قال عبدالله بن يسار، عن أبيه: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده.

وما ذكرناه نحو ما بيَّنه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره حيث قال: فنسي ذلك الموصى أن يُذَكِّر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان؛ لئلا يطلع نبي الله من السِّجن، هذا هو الصواب؛ أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] عائد على الناجي، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد.

ويقال: إن الضمير عائد على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. رواه ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومجاهد أيضًا وعكرمة وغيرهم.

وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال: حدثنا ابن وكيع، حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا، قال: قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لو لم يقل -يعني يوسف- الكلمة التي قال، ما لبث في السِّجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله**»، وهذا الحديث ضعيف جدًا، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضًا.

وقد رُوي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم. اهـ

وأما من استدل بتشبيه نسيان موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للحوت فلا يتوافق، وذلك من عدّة أوجه:

منها: أن نسيانهما لشيء من متاع الدنيا وهو زادًا لهما، وليس متصلا بالله كاللجوء والتضرع إليه، وإنما يرجع إلى الحوت.



ومنها: أن موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكّل هذا الأمر لغلامه، ولا بأس إن جرى له النسيان فالتأنيب يقع في حق الغلام كما اعترف بذلك من قوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الكهف: ٦٣]، وغير ذلك من الاختلافات، والله أعلم.





المبحث التاسع والثلاثون: شيطان يحوم وراء القضبان

ومن الدروس: اعلم يقيناً أن الشيطان لن يتخلى عنك في كل الأحوال؛ حتى عند خروجك لهذه الدنيا وأنت في حال ضعف، وكذلك عند أنفاسك الأخيرة، وبما أن الأرواح فيها أسرار يعلمها الله سبحانه وتعالى، فإن الشياطين تسعى للنيل ممن يحمل روحاً نقية، ولعل ذلك منذ صغره، ودليل ذلك مما قام به إخوة يوسف تجاهه من المكر ونحوه وهو في سن الصغر، وهذا من حقد الشيطان ضده، ودليله من قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]، فهو على طالب العلم حريص كل الحرص في أذيته لكيلا يبلغ مراده؛ لأنه بالعلم تُفضَحُ مكايده ومصايده التي بها يصول على الناس بالشرك والمعاصي، فإن لم يقدر عليه من قِبل ذلك أتاه من قِبل الدنيا أو من قِبل نفسه، أو أتاه من قِبل صحته، وذلك بالأسقام، فإن لم يقدر على ذلك أتاه ممن حوله من الأقارب من الزوجة والولد والصاحب ونحوهم، وهذا مما جرى منه تجاه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه عندما يئس منه في قصر العزيز ظل يحوم في السِّجن، فلمَّا سمع داعي الحق وهو التوحيد من درسه للسجينين سعى جاهدًا بنسيان ذكره من قِبل الساقي لكيلا يخرج داعي الهدى، ويفسد ما بناه من معتقد فاسد لدى الملك ورعيته، فإن من النسيان له مدخل من مداخل الشيطان، قال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [يوسف:٤٢]، وله حرب كذلك في نسيان الرؤيا للرائي لا سيما إن كان صاحب همة عالية، وذلك بعد أمر الله وليس بسبب عُقَده، ولتعلم قدر حربه على طالب العلم من قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلم يقدر عليه فأتاه من قِبل غلامه وهم في حال سفر ونصب وتعب، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

[الكهف:٦٣]، فتفطن لذلك، وهو لعابر رؤىٰ المرضى بالمرصاد، ويهيج عليه الخصوم من القريب والبعيد؛ لأنه يترجم ما يأتي من الله سبحانه وتعالى بما يكشف به خباياه ويقلعها من جذورها، وهذا مشاهد لمن سلك هذا العلم. فتنبَّه لذلك.

ونظير ما سبق كما جرى في ليلة البيعة من قِبل الشيطان من صراخ لكي يطفئ نور الله سبحانه وتعالى، وأنَّىٰ له ذلك، وهذا إنما من خبثه وكيده ومآله إلى باطل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "البداية والنهاية": وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ ويروى عن صالح أيضا أنه قال: حين احتضر أبى جَعَلَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: لَا بَعْدُ، لَا بعد، فقلت: يا أبه! ما هذه اللفظة التي تلهج بِهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ إِبْلِيسَ وَاقِفٌ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ عَاضٌّ عَلَى أُصْبُعِهِ وَهُوَ يَقُولُ: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ؟ فَأَقُولُ لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ- يَعْنِي لا يفوته حتى تخرج نفسه مِنْ جَسَدِهِ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَزَالُ أُغْوِيهِمْ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فقال الله: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي. اهـ

وقفة:

وعند تدويني لهذا الكتاب جرى عليّ شدة وكربة وغربة ووحشة ممن حولي حتى أني قد كنت بدأت أشك بأمري لولا أن ثبتني الله سبحانه وتعالى؛ وذلك مما ابتليت به من حرب من قِبل الشياطين ومن إخواننا من الإنس؛ فقاموا بالوشاية والقدح في قلمي وعرضي ودوائي حتى ضاقت علي الأرض بما رحبت، واشتدت علي المعيشة حتى أنه يمضي السبت تلو السبت ولا أملك في جيبي قيمة خبز حتى عرضت ما ورثته من والدي من عقار لبيعه بثمن بخس وهو ثمين ولم يقبل به أحد، وهذا كله بأمر الله سبحانه



وتعالى لا سيما عندما ذيع صيت الدواء فجنّ جنون خصومي سواء من الإنس أو الجن حتى زرعوا بذور الوشاية وأسقوها على عجلة عند مشايخنا وعند من صنعنا له المعروف وعند إخواني، فتخلوا عني حتى نبت داء الشك والريبة فيهم حتى هذه الساعة، فلم أر من صديق وقريب إلا صفعة من عُصبة وصدمة ببغتة، وكانت الرُّؤىٰ تهون علي حتى أيقنت أن الخلاص آت من خالقي وذلك إما من إنسان بعيد، وإما الانتقال إلى جوار من دل عليه الرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



المبحث الأربعون: ظن يقين من سجين

ومن الدروس: نتعلم أن تعبير الرؤيا ظن، والظن يخطئ ويصيب، فلا نجزم بذلك، ومن باب أولى فلا نقسم على وقوعه، ودليل ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، وهنا ظن يقين خاص بالأنبياء؛ لأن رُؤاهم حق، وتأويلهم حق، فهو من علم الله سبحانه وتعالى، فهو على يقين، كما في رؤيا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما رأى أنه يذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقام بما رأى في منامه.

وأما في التأويل فعندما رأى نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بقرًا تُنحر عبَّرها بقتلى أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يوم أحد فكان كذلك.

وليحذر العابر عندما يعبر الرُّؤىٰ القضائية والجنائية من الجزم في اتهام الجاني ونحو ذلك، والذي ينبغي عليه هو الوصول إلى أدوات الجناية ومكان الجناية وإصلاح ذلك الأمر، ودليله عندما سُحر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأُخبر في المنام بالمعضلة ومكانها واسم الفاعل فإنه أسرع في حل المعضلة ولم يقم بزجر الفاعل أو القبض عليه أو أخبره بما فعل، وليكن الرائي حينها على حذر ممن حُذّر منه في المنام بعد تفسيرها عند عالم أو لبيب.

وينبغي على العباد أن يحسنوا الظن بخالقهم، وكذلك ينبغي على العابر أن يحسن الظن عند تأويله بقدر ما يليق به، والله أعلم.

المبحث الواحد والأربعون: سجين حكيم

ومن الدروس: أن العابر إذا أتاه آتيان ولكل له رؤيا وتعبير إحداها نكد فليُبهم التخصيص لا سيما إن كان لحكمة، وليسبق قبل ذلك النصح والإرشاد على العموم بما يخفف ذلك النكد على صاحبه، وهذا من قوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ ﴾ [يوسف: ٤١]، فإنه أبهم ذلك لئلا يحزن الآخر وهذا للمصلحة، وأخبر الساقي بطلبه خفية عن الآخر كما ذكر ذلك أهل التفسير، وهذا الفعل لا يسلكه القاضي في قضايا الناس من القصاص ونحوه من الأحكام؛ لأنه لا يحق له إصدار حكمين في آن واحد من غير تعيين.

وقد تأتي الرؤيا للرجلين والثلاثة، وأحداثها لا تختلف، ويكن تأويلها واحد لأولئك وإن كان بينهم مدة زمنية مختلفة.



المبحث الثاني والأربعون: ملك مُكبّل عادل

ومن الدروس: العدل في الحكم في كل القضايا، ومن ذلك عدم التفضيل وليس مختصًا بتأويل الرؤيا فحسب، ومن صور العدل هنا عدم التفضيل، ودليله من تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين، فقد فسّر الرؤيتين حسب ترتيبهما، ولم يقدّم الآخر على الأول، فإن الله سبحانه وتعالى بدأ بذكر رؤيا الساقي فكان تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ البدء بتأويل رؤيا الساقي، وإن كان التأويل عليهما مُبهمًا، ونظير ذلك في قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الخضر في المسائل الثلاث التي قام بها الخضر وعندما كان الجواب منه بدأ بالمسألة الأولى وهو أمر السفينة، ثم أمر الغلام، ثم أمر جدار الغلامين، وهذه قاعدة ينبغي علينا أن نُمعن فيها ونعمل بها في سائر الأمور، ولو تأملت أكثر لوجدت أن عدم قبول الرشوة لها دلالة من هذا الفصل.

وهذا الترتيب تجده أيضًا من أحداث حياته من رؤياه؛ فبدأت بكيد إخوانه وهم الكواكب، ومن ثم قليل من الراحة ثم تعب ونصب، وهذا من حال الشمس وكانت في رؤياه في المرتبة الثانية بعد الكواكب، ومن ثم جرى مآله إلى ما دل عليه القمر، فافهمه.





المبحث الثالث والأربعون: من سجنه حِكَم

ومن الدروس: التأويل بالحِكَم أو الأمثال: وهذا أصل من أصول التأويل، فالمثل السائر هو: القَوْلُ السَّائِرُ هُوَ كَلامٌ فِي جُمْلَةٍ أَوْ جُمْلَتَيْنِ يُمَثِّلُ عِبْرَةً مُسْتَخْلَصَةً مِنْ وَاقِعَةٍ مُعَيَّنَةٍ يُرَدَّدُ فِي أُخْرَى مُشَابِهَةٍ لَهَا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى بعض الأمثلة، فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وكذلك نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» أي: يجب على المؤمن أن لا ينخدع من اللئيم الغادر مرتين، ووجوب أخذ الحذر، وأن يكون المؤمن كيسًا فطنًا، وكما أسلفنا سابقًا فإن من الشعر لحكمة فإن كان الشعر خارجًا عن الكتاب والسنة فلا يعتبر به ولا بصاحبه، وقس ذلك أيضًا في الأمثال التي بين الناس في كل زمان ومكان.

وعنوان الفائدة نموذجًا لمثَلين صارا مشهورين عند أهل مصر منذ عقود، وكتبناها على لهجتهم وهي: **"يا ما في السِّجن مظاليم"** وكذلك قولهم: **"يا فهمها وهي طايرة"**.

فإنك تجدهما لهما مرجعية من حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما جرى له من ظُلم حتى سُجن بمصر، وكذلك من تأويل رؤيا السَّجينين، فقد فهم تأويلها من عند الله، وفيها طائر، وكما في الحديث «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ**». [رواه أبو داود، برقم: (٥٠٢٠)،

وقال الألباني: صحيح].

فالرؤيا حكمة جليلة، وهي من الأمثال المضروبة في المنام، وصار منها مَثَلاً للناس، ومما سبق ذكره فمن الأمثال المعروفة في أوساط الناس اليوم، أو المشهورة عمومًا في سائر البلدان منها: **عنزة عنزة وإن طارت**. وزدت: **وباضت**. وهذا في حق المُكابر، وأما في أمر المساندة وذلك من قولهم: **رُبَّ أخ لم تلده أمك**. ومما يعضد هذا مما صار موروثًا بين الأنبياء والرسل كما جاء عند البخاري، برقم: (٣٤٨٤)، من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**».

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى هذا الحديث أن هذا الكلام إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت كان من الآثار السابقة الموروثة عن الأنبياء السابقين.

ومن الحكم والأبيات التي أتتنا في المنامات:

(**مصايد العوام تفتح المجال**)، فمثل هذه لها معانٍ عدة:

منها: أن العوام بسبب جهلهم إذا اصطادوا الشيء يظنون أنهم على الصواب لا سيما إن زعموا أنها زلة على الصالح فإنه يُفتح لهم مجالات خاطئة وهذه بلية.

ومنها: أن العلم بحر، وطلبة العلم منهم من يسبح، ومنهم من يعوم، ومنهم إذا غاص اصطاد دُرًّا نفيسًا؛ فيُفتح له المجال في ذلك العلم ويحصل له سعة وبسط في ذلك وغير ذلك من المعاني .والله أعلم. ومن الحِكَم: (**كرامات الإنسان.. بالعلم وتُصان**)، فاعمل بها. ومن الشعر الذي كتبه الربيع في إحدى الرؤى:

"أن من نقش الظن جلب.. حسنه فانتعش ذوي الطلب.. فاز بالحسن وتحلى به.. من سواك يا ذات الأدب"، وللرائي نصيب كبير منه فما أجمله من شعر.



المبحث الرابع والأربعون: أحكام من حاكم مسجون

ومن الدروس: نقل ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهما لم يريا شيئًا، وفساد هذا القول له قرائن من الرؤيتين:

منها: أنها توافق حالهما من قبل أن يُسجنا.

ومنها: لو كانتا كذبًا فإن ذكرهما في القرآن الكريم بهذا الصياغ ينافي هذا القول، ولكن لعل بعد أن تكلم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتأويل وكان أمر القتل مبهمًا ولم يُخصص لأحد منهما فربما ادعى أنهما لم يريا شيئًا، وذلك خوفًا من القتل، فكان الجواب القاطع وصار يُضرب به في كل مكان قوله: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف].

فما حكم من يكذب في الرؤيا؟

الجواب: لما كان الكذب آفة عظيمة، ولا يليق بالعبد، وتجد على وجه صاحبه غبرة، وتحل الوقاحة عوضًا عن الحياء، كان مآله إلى الفجور والفساد؛ فما بالك بمن يكذب في الرؤيا فالعقوبة أشد، فيقول: حلمت كذا وكذا. وهو لم يرَ شيئًا، وإنما أقدم على ذلك لشيء رديء في نفسه لآخرين، أو صار لسان حاله جعله من أذكاره اليومية الشيطانية، ولا يعلم أنه صار من زمرة الفجرة، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وباعتبار لمن ذهب بأن صاحبي السِّجن كذبا فقد كان الرد يوافق الحكمة وهي: الجزاء من جنس العمل، ومواضع الاستدلال كثيرة في السنة، كما جاء عند البخاري، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعـًا: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشتد الوعيد فيمن يكذب في المنام، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه مالم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لحديث: «**الرؤيا جزء من النبوة**»، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قلت: ولما كان الكذب مخالفاً للشرع وتنفر منه الطباع كان الجزاء من جنس عمله، فكُلف بأمر مناقض في اليقظة ولن يفعل، وكونه أقدم على أمر من غير تكلّف فكان كذلك، ولما كانت العُقدة من عمل السحرة الفجرة فيما يتمتمون به من الكذب والدجل كان له نصيب من مسلكهم من حيث الصورة، وهذا إنما دل على عظم ذلك الأمر، والله أعلم.

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكذب على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الرؤيا كالكذب عليه في الرواية، وربما كان أغلظ، لاجتماع الكذب في رؤيا المنام مع الكذب عليه في اليقظة، ولمَّا عجز الكذَبَة في هذه العصور وقبلها عن افتراء الكذب في الرواية لجهلهم بمعرفة الأسانيد والمتون عدلوا إلى وضع مناماتٍ مكذوبة فيها أوامرُ ونواهٍ بألفاظ عاميَّة، وكلمات ركيكةٍ، وتراكيب ضعيفة، فعلى المكلَّف الضرب عن ذلك صفحاً، واعتقاد أن المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يمت حتى ترك الناس على شريعة بيضاء ليلها كنهارها لا تحتاج إلى تتمة ولا تفتقر إلي زيادة وحسبك في الرد عليهم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، والمقصود بيان خطر هذا الذنب وعاقبة التساهل أو التهاون فيه. اهـ

قلت: وقس على ذلك فيمن يكذب في التعبير بقصد أو كان متساهلاً إن كان يدرك خطورة ذلك فهو يدخل في هذا الوعيد.

وظهر في عصرنا من يكذب في الرؤيا على أحوال مختلفة ولا يدرك ذلك أنه آثم،



فمنها: كمن يقص الرؤيا ويذكرها بزيادة لفظا أو أكثر جوار أحداث الرؤيا بقصد منه، أو يكتم لفظا أو أكثر وذلك لشيء في نفسه، وما علم أنه آثم على تلك الزيادة أو النقص.

ومنها: عندما يقص الرؤيا للعابر فيقول: أخي أو فلان رأى كيت وكيت، وإنما هو الرائي نفسه، ولكن ينسبها لغيره، وذلك لشيء في نفسه، ومثل هذا يدخل في هذا الوعيد، والله أعلم.

فإن سأل سائل: ذكرت في الجزء الأول الفرق بين لفظ الرؤيا والحلم فما قولكم في حديث ابن عباس المتقدم ذكره؟

قلت: هنا أتى من باب الذم، والله أعلم.



المبحث الخامس والأربعون: قاضٍ سجين

ومن الدروس: أن تفسير الرؤيا فتوىٰ، ولا يجوز الخوض فيها بلا علم، ولا يفتي في ذلك إلا متمكنًا من ذلك؛ لأنه كالقاضي والعالم، فلا بد أن يتوفر فيه العلم والتقوى والصفات المتقدم ذكرها، ومن يقدم على ذلك وهو جاهل فهو آثم؛ لأن حكم ذلك يندرج في حكم من يكذب في الرؤيا بل ربما أشد، وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أَبِالنُّبُوَّةِ يلعب! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يلعب بالنبوة. اهـ

ولهذا قال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد تأويله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف]. دلالة على أن المسألة هي فتوى للفصل في قضايا الناس، ودلالة أيضًا أن التأويل بمعنى التفسير إلى المآل وذلك بيقين، وهذا خاص بالأنبياء عليهم السلام، ولذلك جزم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تأويله سواء كانت رؤيا أو لم يرَ شيئًا.

ودلالة على أن من تحلّم تحمّل تعبيرها، فالجزاء من جنس العمل.

وفي "تفسير ابن كثير" روى محمد بن فضيل عن عمارة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ به، وكذا فسره مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم. وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره، فإنه يلزم بتأويله، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١)].

ومن فتواه في رؤيا السَّجين الآخر دلالة على أن التعبير قد يوافق خيرًا أو سوءًا، فإن قلنا نفسَّرها بالفأل الحسن فهنا أصدرت حكمًا مخالفًا كونك كالقاضي وهذا خطأ.



فإن سأل سائل: لماذا عبّر يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالقتل للسجين الآخر؟

قلت: سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في رؤيا الملك.

ويستحسن إن أتتك رؤيا ودلالتها إلى سوء، فالأفضل على الرائي لا يقصها، وذلك كما في ورد في الحديث، وأيضاً على العابر أن يسأل الرائي هل جرى له كيت وكيت قبل رؤياه؟ فإنه أحياناً تأتي الرؤيا بعد الحدث بأيام، وإن كان لابد فليعبرها بالفأل الحسن بقدر ما يتلمس فيها من القرائن، وإن جهل فالصمت خير من أن يفتي فتوى مخالفة، فإن قلتم وأين نحن من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا الذي رواه الدارمي في كتاب الرؤيا؟

قلت: الحديث فيه عنعنة ابن إسحاق؛ وهو معروف بالتدليس، وتجد ركاكة اللفظ، وأما إن كان الحديث إسناده حسن، فربما تلك المرأة في الفترة التي كان يعبر لها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ لم يأمر الله تعالى في ذلك الحين بقضاء أجله، والله أعلم.

وغير ذلك من الأسباب وسيأتي البيان أكثر في رؤيا الملك.

فائدة:

كثيرًا من المعبرين القدامى والمعاصرين قالوا: بأن الرؤيا الخيرية يتأخر وقوعها! ولكننا عندما نرى رؤيا السَّجينين وعلى قول بعض أهل التفسير أن التأويل جرى بعد ثلاث، **فإن قلت:** بما أنه نبي الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك الحين لكن هل هناك دلالة نتعلمها من تحديده للزمن؟

قلت: تحدثنا في الجزء الأول عن دلالة الشمس والقمر بالنبات والثمار، وتحدثنا عن الشمس والقمر وصلتهما بمعرفة العدد والحساب فلعل تحديده الزمني كان من اسم العنب، والخمر، والخبز، والطير، فكلها من ثلاثة أحرف وكل حرف بمقدار يوم، أو لعله من قول الرائي كما في بعض التفاسير أنه كان بيده ثلاثة عناقيد عنب، والآخر



خبز، وقد تحدثنا فيما مضى عن دلالة العدد الثلاثة، وعلى هذا فقس في الاستدلال الزمني للشيء الذي له مرجعية بذلك الشيء المتصل بالزمن كالشمس والقمر.

ومن الدلالات لوقوع تفسيره من تدقيقه الزمني وذلك من قرائن الرؤيا حسب كلام أهل التفسير ممن ذهب أنه غرسها ثم ذكر المآل، وهو المصير، فصارت عنبًا، ومثل هذه الرُّؤىٰ أسرع في الوقوع، وأيضـًا لسرعة المآل كما في قاعدة المصير، وأيضـًا الشيء إذا صار مأكولاً في المنام على وجه المباشرة كان أسرع في الوقوع، وذلك من قوله: ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف:٣٦]، وفيما سبق ذكره أن وقوع مثل هذه الرُّؤىٰ يجري في زمن مجيئه، وقس ذلك حتى في اللباس فإنه يعتبر بالزمن الموافق لكل ملبوس، ولعل تفسير يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في زمن نضوج العنب والحنطة، وهذا يدل على خبرته بالطبيعة للشيء وفصوله وبه أحكم في تخزين الحنطة للملك، وقد ذكر بعض أهل العلم أن رجلاً قص رؤياه للشهاب العابر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له الرائي: رأيت أني أترجة تؤكل، فعبّرها له بالموت بعد خمسة أيام فجرى ذلك، ودليل ذلك أنه اعتبر كل حرف يوم فصارت خمسة أيام، وأما دلالة الموت فهو مأكله فإن ما خفي لا يرجى عودته، والمقصود: تجد ما ذكرناه من الأدلة لها قوتها على خلاف ما ذهبوا إليه، ولكن نقول ليس على الإطلاق وإنما حسب توافق أحداث الرؤيا وحال الرائي وزمنها، والله أعلم.





المبحث السادس والأربعون: آلآنَ له الحديد

ومن الدروس: أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فقد جاء عند البخاري، برقم: (٣٠٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»، ومن قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تجد دلالة لهذه الفائدة وذلك من وجهين:

الأول: عبر الساقي وكان على دين الملك.

والآخر: تأييد الملك ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتمكينه فجرى من ذلك إسلام الملك والخير الكثير على البلاد والعباد.

وقد ذكر أهل العلم على معنى الحديث المذكور آنفًا؛ على أن الحق قد يؤيَّد برجل فاجر لأسباب:

إما لريائه، أو لينصر قومه، أو لينصر وطنه، أو لغير هذا، وإذ لم يقصد الدين، وقد يقصد الدين، ويؤيد الدين، لكن لغرض آخر غير الإخلاص لله وطلب الثواب من الله عز وجل، بل لأسباب أخرى، فكم من مقاتل، وكم من مجاهد، وكم من يرائي نفع الله به في الإسلام، وهو ليس من أهل الخير، وهذا الواقع شاهد بذلك.

وما أحوج الأمة الإسلامية لمثل هذا الرجل وذلك بسبب ما حل بأهل الإسلام من وهن، ومن تفلت للشرع، وتقليد أهل الكفر.

المبحث السابع والأربعون: بَذْر حَبَّة السنبلة في الرمال فصارت للأجيال

ومن الدروس: لا تستصغر بذر الخير وإن غرستها في مكان لا تأمل فيه؛ فإنه بالإخلاص يُجنى ما لا يخطر ببالك في الدنيا والآخرة، فلا تحتقرن من المعروف شيئا.

ودليله أن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غرس بذرة التوحيد والأخلاق الحميدة للغلامين فجنى من وراء ذلك ما هو مُدَوَّنٌ في كتاب الله فصارت السنبلة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة؛ ويضاعف الله لمن يشاء، وبسبب إخلاصه عبَّر رؤيا السنابل، فعلى طالب العلم أن يدرك ذلك، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عنه ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]. وقد جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَال رَجلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ على سارق! فقال: اللهم لك الحمد لأَتَصَدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية؛ فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ الليلة على زانية!** ... الخ» الحديث، فما يدريك أن يجري النفع والخير مما لا تدركه، فالأصل الإخلاص لا سيما فيما هو نافع للعباد، والمتأمل في حياة شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما بدأ بدعوة التوحيد في وكر إخوان القردة والخنازير؛ بل هم أخبث، ولا تسكن به حتى القردة؛ فكان لا يحضر له إلا الواحد أو الثلاثة لكنه جنى بسبب إخلاصه الشيء النفيس الذي يُغبط عليه، فصارت دعوة مباركة متميزة على باقي البلدان، وصار طلبة العلم يتوافدون إليها من كل حدب وصوب، وهذا كله بفضل الله سبحانه وتعالى، وهو الشيء الذي وقر في نفسه عند بداية الخُطى فلم تُخطئ. فافهم واعمل لأجل ذلك.



المبحث الثامن والأربعون: تأويل السجن من سجنه

نتعلم من حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحكام لتفسير السِّجن في المنام فدال: على لزوم الدين، أو الهم والنكد، وعلى الدنيا، والزوجة النكد، والسبب المتعب، والصمت، وعلى المكيدة من الأعداء، والقرب من الأكابر، وعلى القبر والدَّين، والزواج، وعلى تعطل الأسفار بسبب المرض أو قصور الهمة، والفقر وعدم الراحة، والعمر الطويل واجتماع الأحبة، وعلى الدعوة، وموت المريض، وراحة المسافر وغير ذلك فاحكم حسب حال الرائي وقرائن الرؤيا.

كما قال لي إنسان من مصر: رأيتك يا أبا الربيع وكأنك في سجن مهمومًا حزينًا وتقرأ قوله تعالى﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[يوسف:٣٩].

قلت: يجري من صاحبَين لي خصومة وكلام رديء في عرضي، وأقاويل باطلة مزخرفة ليس لهم بها سلطان ولا حجة، ونُتهم بالسرقة، ولعل أحدهما يتراجع عما صدر منه، والآخر سيظل في عناده وبغيه، وأخشى عليه من الجنون، أو يُزجر ويُردع من فقيه علاّمة فاضل، ولمن دل عليه الشمس له صلة فيما يصدر منهما من أباطيل، نسأل الله السلامة والعافية.

كما قال لي شيخنا أبي بكر الحمادي حفظه الله قبل أن بدأت فتنة ابن حزام: رأيت أني جوار أناس وكان هناك أسد وسط السِّجن وقد فُتح بابه، وكان الناس خائفون منه، وقمت بزجره وأدخلته وأغلقت عليه باب السِّجن.

قلت: يحصل على يديك ردع لصاحب فتنة وهوى، ويأمن طلبة العلم من شره، ولعل صاحب الفتنة هو محمد ابن حزام، فجرى ذلك كله. فافهم ذلك.



دواء الربيع للمريض الرضيع (غصن الشجرة)

جاء في الحديث: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوت**» الحديث، وهو دواء ربيعي الذي تحدثنا عنه في الجزء الأول، وتحدثنا أن الخطاب هنا للصحيح وللمريض، وما كثرت هذه الأسقام في الناس إلا عندما تركوا الطب النبوي، ومن هؤلاء المرأة فعليها به قبل الزواج ومن بعد الزواج، فعندما تستقر المادة السمية في بدنها ويحصل بعد ذلك لها الحمل فإن المادة السمية تتفرع منها، وذلك من غذائها ويعود على الجنين سواء في فترة الحمل أو بعد الولادة، وذلك عبر حليب الأم، فيولّد عن ذلك أمراض مختلفة لم يعهدها السلف، فمنها مرض ثُقب القلب أو التوحد أو الضمور وأمراض الكبد وكذلك أمراض القلب والأمعاء وأمراض التشوه في أحد أعضاء الجنين وغير ذلك من الأسقام، وعندما رأيت الطب المعاصر يعتني بالرضيع في حال مرضه المستعصي أنكرت فطرتي ذلك، وقلت: لا أظن أن الدواء يكن لبدن الرضيع، وإنما يكن عبر الأم، وما أُلهمته يحتاج إلى دليل، فصارت هذه القاعدة برأسي تحوم ولم يتوقف فكري فيها فاطمئن قلبي بعد أن أتتني رؤىٰ تؤيد هذه القاعدة، فجعلتُ الأم كالشجرة والرضيع كالغصن، بل الأم كحال كلي والرضيع منها حال جزئي، ومن الخطأ إزالة المرض من الجزئي ونهمل الكلي، فإنه مهما سعيت من مداواته فإنما هو عبارة عن مُلَطِّفٌ ومُسَكِّنٌ لبعض الوقت، بل بما أن الرضيع يرضع من أمه فإن المادة الرديئة في بدنه تتغذى وتنمو شيئًا فشيئًا، وهذا يجب أن نتفطن له، ولهذا يجب أن نستأصل الداء من الشجرة لكي ينتهي من الغصن، وعندما وصلت لهذه القاعدة بدأت بها مع أحد الصغار من الأقارب، فقد كان سنه بضعة أشهر، وكان يشكو من التواء في



الكلى وانسداد في أسفل الأمعاء، وهذا الداء صاحبه منذ ولادته، وأمر الطبيب بتدخل جراحي سريع، ولم نفعل ذلك، فنصحت أمه بتناول السنا والسنوت، وعند تناولها في أول مرة فإنه حصل أمر عجيب، فقد جرى التأثير على وجه المباشرة على الرضيع حيث وتفاجأت بخروج مادة رديئة من غائط الرضيع، وهذا لا شك أنها المادة المسببة في تعبه، وهي مجلوبة من أمه أثناء الحمل.

ثم قمت بالتجربة لأخ في بلد الجزائر، فأخبرني أنه لديه صغير يشكو من مرض صعب علاجه، فأرشدته إلى ما سبق ذكره لأم الصغير، فجرى نحو ما جرى للصغير الأول.

وآخر تشكو ابنته التي لم تتجاوز السنتين من مرض مستعص في الكبد فأرشدته كذلك لتتناوله زوجته فخرج منها كذلك مادة رديئة، وهناك حالات أخرى جرى لهم كما ذكرنا.

واعلم أنه كلما كان الرضيع المريض قريب عهد ولادته كلما كان الدواء أنفع له وذلك عبر والدته، ولتتناوله الأم بدايةً شيئًا بسيطًا حتى لا يكن ثقيلاً على الرضيع، وقس ذلك في باقي أصول الاستفراغ وهذا أولى، ويتوجب على الأم إن كان لديها رضيع وستقوم بهذا الدواء ألا تحمل خلال السنتين من سن الرضيع وذلك لأمرين:

الأول: إن جرى حمل فإنه يمنع تناول هذا الدواء أثناء حملها فيؤدي ذلك إلى تعثر لمداواة ذلك الرضيع. **والآخر:** لعل الجنين الآخر يحصل له داء كأخيه الأول.

تنبيه: كلما تناولت المرأة هذا المركب قبل الزواج وبعد الزواج في كل عام مرة أو مرتين كلما سلمت من أدواء تصاحب صغارها وتَسلم من بَطِّ أعلى الرحم عند الولادة.

الباب الثاني:

الثّمرة والطّير



تمهيد

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧] لو تدبرت هذه الآية لأدركت أنها تحمل معانٍ وفوائد ملاح وأسرار في الغذاء والدواء وغير ذلك من المفاهيم، وإذا أخذنا منها ما هو دلالة للطب فهي أصل كبير في الطب عَلِمَها من عَلِمَها وجَهِلَهَا من جَهِلَهَا، ويتطلب تدوين مفاهيمها إلى أكثر من مجلد وسنتحدث بما فتح الله علينا في مواضع عدة إن شاء الله تعالى.





المبحث الأول: ومن الحِكم حِكماً مقتطفة

فإن المتأمل في رؤيا السَّجينين ورؤيا الملك يجد دلائل متصلة في كل الإشارات لأمور عدّة منها:

دلالة لعلم الطبائع وهو طبيعة الشيء ومزاجه سواء للعنب، أو الخبز، أو الطير، وكذلك البقرة السمينة، والهزيلة، وكذلك الحنطة ومنها السنابل الخضر واليابسة، وكلها سفلية تحت إشارة الكواكب ومنها الشمس والقمر كما تقدم ذكر ذلك في رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ودالة على ما أشرنا إليه مسبقًا أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان خبيرًا في هذا العلم، وأن هذا العلم له مواضع عدة في الكتاب والسنة، فينبغي علينا تعلّم هذا العلم ولو الشيء اليسير لفهم أصوله، وهو يسير لمن سعى إليه، ويحتاج منك إلى عزيمة وبحث وتدبر على بصيرة.

ومن الحكم المثمرة مقطوفة من رؤيا السَّجينين فلعل أهل مصر في ذلك الزمان كانت بشرتهم حنطية، ودلالة على أن في زمن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن الحاكم على مصر آنذاك فرعون من الفراعنة، وإنما ملك، وليس من أهالي مصر، وكانت سيرته حسنة، ولعل الحاكم إن كان من غير أهلها كان أحسن لهم وذلك في كل زمان، ودلالة أن منهاج المُلك لأهل مصر أنسب وأنفع لهم، بل لكل بلد، فهو الأسلم والأنفع من هذه الديمقراطية المستجلبة من أعداء الإسلام، وقد جرى في مصر الخير العظيم في القرن السابع عندما كان الخليفة من غير أهلها.



وقفة:

ودلالة على أن الأحداث تتكرَّر في كل مدة زمنية، وذلك من دلالة الكواكب من دورانها كما تحدثنا في الجزء الأول، وكما أن فعل السَّجين الآخر يُعد خروجًا عن طاعة ولي الأمر صار هذا موروثًا أعني المنبت الخارجي عند البعض من سكان مصر، وذلك مما جرى في هذه الأمة الإسلامية في أول خروج مشؤوم حدث في زمن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وهو الخروج على الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، حيث خرجت أول ناشئة من بلاد مصر، والقصة مدونة منذ ذلك العهد، وفي زماننا ظهر حسن البنا وهو سيئ هدَّام، وظهر من سلالته من قاموا بثورة الربيع العربي، فجرت من الرزايا والمصائب على هذه الأمة ما جرى، وحصل الضعف والتفرقة والشتات والدمار ما يصعب علينا حصره هنا، ولهذا فإن أغلب البلايا على هذه الأمة منبتها من بلاد مصر، ومنها أن ساسة مصر غالبـًا يكن عليهم أعداء لا سيما وأن جيرانهم من اليهود فيتربصون بهم على حين غفلة، والله أعلم.

ويُفهَم أن المادة السمية في الطعام المأكول لا يُشعر بها ولا تؤثر على البدن سريعـًا كما في المشروب؛ لأنه لو كان كذلك لُفضح السَّجين عبر مذاقه، ولكن دُس السم في مطعمه من قِبَل السَّجين الآخر، ولهذا حُكِم ببراءة الساقي، ومما يَعضُد هذه الفائدة ما جرى لنبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ من دسِّ السم في مأكله في خيبر، ولم يُدَس في مشروبه، وفي الغالب من يقوم بدس السم في المطعم هم اليهود، وأشد منهم عداوة المجوس، فربما وضعوا السحر وهذا طبعهم منذ القدم، فلا يريدون طهارة الأرض ولا البدن، وكما هو حاصل في زمامنا ببعض الأغذية المغلفة المستجلبة وإن صُنع منها في بلد مسلم إلا أن المواد الدقيقة تُستجلب منهم، وفيها من المواد السامة الخفية ما فيها،

ومما قاموا به مؤخرًا من بث الأوبئة القاتلة، وإلى الله المشتكى.

ومن رؤيا السَّجين الآخر قوله: ﴿أَحۡمِلُ﴾ [يوسف:٣٦]. على وزن أفعل، دلالة على أنه أقدم على دس السم بيديه، ولعله أيضـًا قبض أموالاً للقيام بهذه المهمة من قِبَل أعداء الملك، وهذا من عضو اليد التي تقبض وتحمل، وقوله: ﴿فَوۡقَ رَأۡسِي﴾ [يوسف:٣٦] دلالة بما فكّر في رأسه من هذه المهمة بعد موافقة القلب لذلك؛ فكان النكد على رأسه في رؤياه وفي اليقظة.

ويُفهم على أن الغذاء والدواء كلما كان من البلد كلما كان أنفع وأسرع في فائدته، وغير ذلك من الدلالات، والله أعلم.





المبحث الثاني: العنب

قيل: إن أصل شجر العنب من آسيا، وأدخله الفينيقيون إلى جزر الأرخبيل وجزائر اليونان وبعض البلدان، ومن ثم مصر والشام، وهذا القول فيه نظر، وعلى ما يبدو أنه على العكس، فلعله بدأ في مصر، ومن ثم الشام وباقي البلدان، فقد ذُكر في سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقصته كانت قبل ثلاثة أو أربعة آلاف عام، والله أعلم.

وكلما كانت الثمرة أو النبتة من بلد طيب كان أطيب وأنفع كأرض اليمن، وذلك من قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ:١٥]، وهذا ملموس ومشاهد حتى في لحوم الأنعام لها مذاقها الخاص على سائر البلدان.

وقد ورد في الأساطير والحكايات وفي أخبار الصين والهند واعتبره البعض رمزًا للخصب مع حبوب القمح، وهذا يوافق رؤيا السَّجينين وذلك من العنب والخبز.

وقد ذكر العنب في القرآن الكريم مرات عدَّة في جملة النعم التي أنعم بها الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده في هذه الدار وفي الجنة، وكل ثمرة أو نبات ذكر في القرآن والسنة فهو أولى بالمنفعة من غذاء أو دواء من غيره فتفطن لذلك.

ورويت أحاديث عن العنب، وقيل: إنَّها لا أصل لها.

وقال العرب: الشيء الكثير عن العنب في اللغة والنثر والشعر والطب وغيره.

قالوا: إذا ظهر حمل العنب قيل: أحثَرَ وحَثِر، فإذا صار حِصرِماً قيل: حَصرَم، ويقال للحِصرِم: الكَحبُ (الواحدة: كحبة) ولِما تساقط من العنب: الهَرور، فإذا اسودَّ نصف حبه قيل: شَطَّرَ تشطيرًا، فإذا اسودت الحبة إلا دون نصفها قيل: قد حَلقَمَ، فإذا اسود

بعض حبه قيل: أوشَم، فإذا فشا فيه الإيشام قيل: أطعَمَ، فإذا نضج قيل: يَنَعَ وأينع وطاب، ويقال إذا جُني: قُطف قِطافًا، فإذا يبس فهو زبيب أو العَنْجَدَ والعُنْجُدُ، والقِطفُ: العُنقود ما دام عليه حبُّهُ، فإذا أُكل فهو شِمراخ، ويقال لِمَعْلَقِ الحبِّ من الشمراخ: القِمعُ.

العنب في الشعر: وقد صنَّفت العرب المزية للعنب الرازقي وهو فعلاً لمن تفطن لأسراره الغذائية والدوائية سواء من بذره أو عروقه أو أوراقه أو ثمرته فكلٌ له خاصيته، وكما قيل: ولكل شيء من اسمه نصيب، فافهم ذلك.

قال الشاعر ابن الرومي:

كــأنَّ الرازقــي وقــد تَبــاهى ... وتاهــت بالعناقيــد الكُــرومُ

قــوارير بمــاء الــورد مُــلآى ... تَشِــفُّ، ولؤلــؤٌ فيهــا يعُــوم

وتحســبه مــن العســل المصــفى ... إذا اختلفــت عليــك بــه الطُّعُــومُ

فكــل مجمَّــع منــه ثريــا ... وكــل مفــرَّق منــه نجــوم

وقال فيه الشاعر الأندلسي ابن زيدون:

جــاء يُزهــى بمُستَشَــفٍّ رقيــق ... خَــدَعَ العــين رقَّــةً وصــفاء

تنفُــذُ العــين منــه في ظــرفِ نــور ... مَلَأَتْــهُ أيــدي الشُــمُوس ضــياء

أكســبته الأنســام بــرد هــواء ... فهــو جســم قــد صِــيغَ نــارًا ومــاء

منظــر يُــبهج القلــب وطعــمٌ ... يُسكرُ النفس شُهدُهُ استمراء

مُلطــف يَبْــرُدُ المــزاج إذا جــا ... ش بحــرٍّ ويقمــع الصــفراء

ومعــين لواصــل الصــوم يَســري ... بُــردُهُ في الحشــى ويُــروي الظَّمــاءَ



وقال الشاعر الخليفة العباسي ابن المعتز في حبة العنب:

وحبَّـــــةٍ مــــــن عنـــــب	**مـــــن المُنـــــى مُتخـــــذه**
كأنهـــــــــا لؤلـــــــــؤة	**في بطنهـــــــا زمـــــــردة**

وقد قال أطباء العرب والأمم: ما كان حديثًا من العنب يسهل البطن، وينفع المعدة، وهو جيد للمرضى، منشط للقوة الجنسية، يفيد غذاءً ويقوي البدن ويخصبه بسرعة، ويولد دمـًا جديدًا وينفع الصدر والرئة.

وهو أحسن الفواكه غذاء، يسمِّن، ويصلح هزال الكلى، ويصفي الدم، ويعدل الأمزجة الغليظة، وينفع من السوداء والاحتراق، وقشره وبزره يولدان الأخلاط الغليظة، وشرب الماء عليه يولد الاستسقاء وحُمَّى العفن، ينبغي أن يؤكل فوق الطعام.

ويشفي الحميات الحارة، ونزف الدم من الصدر، وأمراض الكبد.





المبحث الثالث: ثمار دانية

دلالة على عدم حبس النفس على نوع واحد من الأغذية، فإنه مضر ويضعف ويهلك إن لم يتعداه إلى ما سواه، فإن الملك على هذا الحال وهو الإفراط من شراب العنب ونحوه فإنه مضر به، وأما إن كان خمرًا على قول بعض أهل التفسير فالضرر أشد، والمتأمل إلى هدي نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يتناول من مختلف أجناس الطعام والمشرب كما ورد في بعض الأحاديث، وعلينا أن نهتدي به في مأكله ومشربه ومسكنه وحركاته وسكونه وغير ذلك.

ودلالة على أن غذاءهم وشرابهم كان مفردًا، وهذه الصورة جاءت بها السنة المطهرة، فقد كان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غالبًا ما يتناول مفردًا، وإن كان مركبًا لا يتعدى على مادة أو مادتين، وهذا الأمر أفضل لا سيما أصحاب البلاد الحارة كالمدينة النبوية أو أرض مصر.

ولهذا فإنك تجد العنب مفردًا، وكذلك الخبز المتخذ من الحنطة مفردًا، وليس الخبز الأبيض الذي تولَّع به الناس في زماننا ولا يدركون أنه مضر.

فكلما اعتاد البدن على تناول المشروب والمأكول المفرد كلما كان عائدًا على حفظ الصحة، وإن مرض كان دواءه بالمفرد، وهذا كان دأبهم في عهد القدماء.

وكلما كان مركبًا كلما كان عائقًا على حفظ الصحة، وكان الدواء لابد من مركب.

ودلالة على أن المادة للغذاء على هيئتها كالعنب له خاصيته، وعند عصره أو غليانه تختلف خاصيته بصورة جزئية أو كلية، وفي قوتها قد تزيد أو تنقص، وهذا معلوم لدى



أرباب هذا العلم.

ومنها: أن من أراد تناول العنب عصيرًا فإنه يُفضّل إثر قطفه، وهذا مستنبط من الرؤيا.

ومنها: أن تناول عصير العنب فيه فائدة مميزة، ولعل منها الفكر والتأمل لإيجاد الحلول للمعضلات، وكذلك في تعديل البال ونحو ذلك مما يلائم به حال الأكابر؛ فإن ملازمة الملك لهذا الشراب لعله يلائمه في ذلك، وإذا حكمنا عليه بأنه كان خمرًا فكيف بملك يسوس البلاد وهو في حالة سُكر؟! ولهذا كان الحلو البارد محبوبـًا لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولكن كان بلا إفراط فيه.

ودلالة طبية لحفظ الصحة، وهو تقديم الفاكهة على المطعم من الغذاء، وذلك من الترتيب القرآني للرؤيتين، وله شواهد في مواضع عدّة في القرآن الكريم من حيث الترتيب، وهذا أيضـًا ذهب إليه أرباب الطب، وقد قال بعض أرباب الطب: إن تناول الفاكهة بعد الطعام مضر ويولد الأورام.

ودالة على البدء بالشيء الخفيف على المعدة ثم الغليظ، وذلك شيئـًا فشيئـًا وهذا لحفظ الصحة، ومضر إذا كان عكس ذلك في كل الأحوال، ودليله من ترتيب المشروب ثم المأكول من رؤيا السَّجينين، وذلك من حيث الكيفية أو ماهية المادة.

ومنها: دلالة أن تناول الفاكهة على قدر المطلوب وعلى الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي كانت له دواء نافعـًا، وقس ذلك في عصيرها.

ومنها: دلالة على طبائع أو مزاج الشيء، فالعنب بما فيه من الرطوبات فإن حرارة الأرض كأرض مصر وحرارة الفصل وحرارة المعدة تنضجها وتدفع شرها إن لم يسرف في تناولها.

ومنها: دالة على أن الشيء إذا كان فيه الحلاوة والبرودة وجمع وصفى كان من

أنفعها للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة للقلب والكبد والقوى؛ لأن عشقها لهذا الشيء تكون سريعة لتغذية البدن، ويتم مراده، ولهذا كان أحب الشراب إلى نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الحلو البارد، وأما إن تناوله مرضى البرودة في الأزمنة الباردة في البلاد الباردة فمضر ويزيد من طغيانه، وغير ذلك من الفوائد، فتفطن لذلك.





المبحث الرابع: ملك جوار ملك

ومن الفوائد الملاح فإنه يتبيّن لنا أن فاكهة العنب لها منافع عظيمة ونفيسة، ودليل ذلك ذكره في القرآن الكريم في مواضع عدة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ملوك الفواكه ثلاثة: العنب، والرُّطب، والتين.

قلت: وهذا لمزيتها، وأفضلهم الرُّطب، ويعضد ذلك من رؤيا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بالرُّطب في دار عقبة، ولا أنفع ولا أطيب ولا أمتع من ديننا الحنيف فشُبّه بما يليق به عند تمامه، ولما كانت المدينة مشهورة بالرطب كانت رؤياه على الشيء الذي اختص به ومُيّز به.

نُعلّق على ما ذكره ابن القيم في الطب النبوي في حرف العين وابتدأ بالعنب حيث قال: في الغيلانيَّات من حديث حبيب بن يسار عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ **يَأْكُلُ الْعِنَبَ خَرْطًا**».

قال أبو جعفر العقيلي: لا أصل لهذا الحديث.

قلت: وفيه داود بن عبد الجبار أبو سُليم الكوفي، قال يحيى بن معين: كان يكذب.

فإن سأل سائل: لماذا ابن القيم يذكر حديثاً لا أصل له ويؤكد على ذلك؟

قلت: تجد في كتابه زاد المعاد في الطب النبوي كثيرًا ما ذكر نحو هذه الأحاديث وهذا دال على فطنته، وذلك لأن الطب أمره واسع كحال علم التعبير، فإن كان الحديث ضعيفاً أو مكذوباً فلسان مقاله يقول لك: لكن مثل هذه الطريقة إن كانت لا تضر في الطب وفيها فائدة ويَعضدها أمثال وحكم من العرب فلا بأس من غير مخالفة الشرع، وعلى هذا المنوال فإن الرُّؤىٰ في الغالب نُعبِّرها على الأحاديث الصحاح، لكن لا يمنع

من تأويلها على الضعيفة إن كانت غير مخالفة ولا متناقضة فهي نحو التأويل على الحِكَم السائرة والشعر المشهور بين الناس، والله أعلم.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويُذكر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أنه كان يحب العنب والبطيخ.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى العنب في ستة مواضع من كتابه في جملة نعمه التي أنعم الله على عباده في هذه الدار، وفي الجنة.

وهو من أفضل الفواكه وأكثرها منافع، وهو يؤكل رطبـًا ويابسـًا، وأخضر ويانعـًا. وهو فاكهة مع الفواكه.

قلت: أي: يلائم مع كل جنس من الفواكه أو يشير على أنه من صنف الفواكه.

وقال: وقوت مع الأقوات، وأُدم مع الإدام، ودواء مع الأدوية.

قلت: أي: يتوافق تركيبـًا مع مادة أخرى من الدواء أو أكثر وهذا إرشاد مليح منه.

وقال: وشراب مع الأشربة.

قلت: أي: يتحول، أو يمتزج مع أشربة أخرى مهما كانت ماهيتها، أو أنه من صنف الأشربة.

وقال: وطبعه طبع الحبَّات.

قلت: لعله يقصد التوافق بين طبعه وطبع الحبَّة التي بداخله؛ لأنه عقّب بعدها بقوله: الحرارة والرطوبة.

قلت: أي: طبائع الشيء وهما أربعة مفردة حار وبارد ورطب وجاف، وهما أمزجة أربعة مركبة: حار رطب، وحار جاف، وبارد رطب، وبارد جاف، وهذه المادة أو الطبائع لكل شيء.



وقال: وأجوده الكَبَّاني المائي، والأبيض.

قلت: أي: الذي يميل لونه للبياض أو للصفرة ما يسمّى بالرّازقي، وأدناهما الأحمر.

وقال: والأبيض أحمد من الأسود، إذا تساويا في الحلاوة.

قلت: وهنا بشرط، ولعل الأسود أجود إذا غلب حلاوته على الأبيض.

وقال: والمتروك بعد قطفه يومين أو ثلاثة، أحمد من المقطوف في يومه.

قلت: وهذه الفائدة تتوافق مع رؤيا السَّجين حيث جرى الحكم بعد ثلاث، وهنا صلة مشتركة مع علم التأويل وفائدة جليلة وإلا فكلامه يوافق حال العنب بما ذكر، ولعل الحكمة من ذلك فإن فوائده تتجمع فيه بعد أن كان يمتد من عوده، ولعله يشير عند أُكله؛ لأن العصر إن قُطف عند نضوجه فالأفضل عصره على إثر ذلك.

وقال: فإنه مُنفخ مطلق للبطن.

قلت: أي: تناوله في يوم قطفه يسبب التنفخات ولا يتقيد في البطن لكي يُستخلص فوائده وتعود للبدن.

وقال: والمُعلّق حتى يضمر قشره جيد للغذاء، مقوٍّ للبدن.

قلت: ولما كان العنب مترفعاً في هيئته فلعل هذه الفائدة مستنبطة من هيئته كذلك وملامسته للأرض ينقص من فائدته.

وقال: وغذاؤه كغذاء التين والزبيب.

قلت: لعل ذلك بسبب توافق طبائع التين مع العنب، وكذلك من صفة اللون، وأيضاً فقد أقسم الله به، وغير ذلك، ولعل عدم ذكره في السنة؛ لأن أرضه لا توافق أرض الحجاز والمدينة النبوية.

وقال: وإذا أُلقي عَجَم العنب كان أكثر تليينا للطبيعة.

قلت: أي: نوى العنب فتكون خاصيته لطيفاً وذلك لرقّته.

وقال: والإكثار منه مصدع للرأس.

قلت: وذلك بسبب لطفه، فالإكثار منه يناقض رطوبة الدماغ، على ما يبدو، ولعل ملك مصر كان يشكو من ذلك، والله أعلم.

وقال: ودفع مضرته بالرمان المرِّ.

قلت: أي: علاج ذلك بالضد من حيث المذاق.

وقال: ومنفعة العنب: يُسهِّل الطبع، ويسمن ويَغذو جيده غذاءً حسناً.

وهو أحد الفواكه الثلاث التي هي ملوك الفواكه هو والرُّطب والتين. اهـ

والمتأمل فيما سبق ذكره يتطلب منك يا طالب العلم أن تسلك هذا المسلك، وتتفطن لأسرار وفوائد لم تُذكر، وما عليك إلاّ أن تتأمل في كل فاكهة وثمرة ونحوهما في كل مداخلها من هيئتها وصفتها وغير ذلك، فافهمه.

وقفة:

كل ما ذكره ابن القيم آنفاً بما يتعلق بالعنب ليس له، وإنما هو في الأصل لأحد علماء المسلمين، وهو من أرباب الطب، وهو ابن جزلة وقد كان نصرانياً ثم أسلم، وكان يعالج المرضى من نفقته كما ترجم عنه ابن كثير، وكان قبل ابن القيم بما يقارب عشرين عامًا، والعجيب أن ابن القيم لم يعزه إليه كما هي عادته في الطب النبوي في بعض الفوائد يرجعها لأصحابها كأفلاطون وغيره، ولعل ذلك حصل نسيانًا منه، والله أعلم.

المبحث الخامس: عصر في مصر

تطلق كلمة العصير والعُصَار والعُصَارَة في اللغة العربية على ما سال من نبات ونحوه عند العصر، وكل شيء عُصر ماؤه فهو عصير، وعصير الفواكه فوائده الغذائية كثيرة إذا أخذ بوعي وفَهم وإدراك، وقد ينجم عنه ضرر إذا أخذ بجهل ونَهَم وغير مبالاة بما يسببه للصحة من أخطار.

ولا شك في أن العصير مفيد للجسم لا سيما للأطفال والشيوخ المسنين الذين عجز مضغهم للفواكه وكذلك المرضى.

ومن رؤيا السَّجين دليل على أن العصير منذ ذلك الزمن سواء يهرس بالحجر أو بالضغط عليها أو بتعريضها للشمس وغير ذلك من الطُرق القديمة.

وعصير الفاكهة كثيرة فوائده، وله أضرار عندما يتناول بخلاف الأصول المتقدم ذكرها في فصل الثمار، فهو لا يخلو من مخاطر، وذلك بسبب الإسراف فيه، فإنه يفسد المواد المقوية للبدن ويتعب الكبد، وقس ذلك في تناوله في غير موسمه، أعني المستجلبة أو في حال عدم نضجه، وقليله أفضل من كثيره.

وهذا تجده من هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والمتأمل في رؤيا السَّجين الأول لعل الحاكم كان يشكو من تعب بسبب إسرافه في ذلك، ولعل الملك الذي رأى رؤيا السبع البقرات ابن الملك، وليس هو الملك الذي كان يحكم في زمن دخول يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السِّجن، والله أعلم.

وعصير العنب مطهر ومدر للبول وضد الحُمِّيات، كما أن الزبيب المجفف بالشمس يستخدم كملطف في الأمراض الصدرية، وأمراض الرئة والكبد والكلى والمثانة.

وأكله مع البزر يقاوم الإسهال، وأوراق العنب تستعمل ضد أمراض الجلد، ومرض الدوالي، ولوقف النزيف عند المرأة.

كما أن الماء الذي يسيل من أشجار العنب في الربيع والذي يسميه القدماء: (دموع العرائش) كان يستعمل لإذابة الحصى، ولمنع الحوادث التي تقع للحوامل.





المبحث السادس: خبر عن الخبز

يعرف بأنه من دقيق القمح أو غيره، ويسمى في مصر (العيش)، وفي أكثر الأقطار العربية (الخبز)، ومصدر كلمة الخبز هو فعل خَبَزَ.

وقد يطلق الخبز على كل ما يؤكل كما ورد في شعر المتنبي:

وربمـــا أُشْـــهِدُ الطَّعـــام معـــي   من لا يُسَاوي الخُبْـزَ الـذي أَكَلَـه

ومن الحكم من رؤيا السَّجينين أنه يُفضّل تناول المطعم بما جرت به عادة أهل البلد بأكله لا سيما مما اشتهرت بزراعته ولا يحتمي عنها، وهذا من أسباب الصحة، وإن كان المُستجلب من الأغذية الأساسية كالحنطة بسبب عدم وجودها أو تعارض طبيعة أرض بلدته فلا بأس، فإن المتأمل في رؤيا السَّجينين تجد أن العنب والحنطة مما اشتهرت به مصر آنذاك، وأما في زماننا فصارت من البلدان الأولى باستجلابه من بلدان أخرى، وهذا بسبب الذنوب والمعاصي حتى قلّت البركة، فبلد يجري فيه نهر وتربته خصبة قلّ أن يستجلب إلا الشيء الذي لا يوافق تربته.

ومنها: دلالة ألا يحتمي الإنسان عن ثمرة بلده خشية السقم إلا إذا كان عليلا، أو فهم الطب بالمقلوب، ويُفهم على أن النفس إذا كانت تعتاف من مأكول فلا يُقحم نفسه بذلك، بل يتركه، وهذا مستنبط مما تقدم ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أيضاً من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلم يكن يُكره نفسه على ذلك كما جرى مع لحم الضب.

ومن يتناول المأكول ونفسه تعافه فإنه يؤدي إلى أضرار على البدن أكثر من انتفاعه، وعندما جيء لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخبز ملبق بسمن ولبن؛ وكان السمن قبل ذلك في

عكة ضب لم يأكله نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لكراهيته لذلك، وهذا نحو ما جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا ينبغي إرغام النفس على مالا تشتهيه؛ فإنه مضر وإن كان فيه غذاء.

وإذا تأملت إلى طبيعة بلاد مصر ومزاج العنب فإنه يستنبط أن مزاج الخبز المتخذ من البُر حار معتدل في الرطوبة واليبوسة وهذا شبيه بمزاج العنب، ويُفضَّل أن يكون نقيًا مملوحًا، قد أحكم تخميره جيد النضج في التنور الطبيعي المصنوع من الحجر والطين، واليبس يغلب على ما جَفَّفته النار منه، والرطوبة على ضده، والخبز المتخذ من الحنطة فغذاؤه يكون بحسب الحنطة المتخذ منها، فما كان متخذًا من حنطة كثيفة فغذاؤه أكثر مما يتخذ من حنطة رخوة، فخبز الشعير بارد يابس في الأولى وأقل غذاءً من خبز الحنطة، وهو أكثر الخبز غذاءً، ولكنه أبطأ انهضامًا ويضر ما اتخذ من لباب الحنطة، وهو ما يُسمى بالدقيق الأبيض، ولأنه يولد انسدادًا وأمراضًا كثيرة؛ وذلك كونه أُخرجت منه مادة عن خلقته فإنّ صنعته تقوم على حرارة محدودة حتى تتقشر منه القشرة الظاهرة ثم تؤخذ المادة الباطنة وهذا تغيير مغاير لطبيعتها، وخروج مزاج من مزاجين فيؤدي إلى أضرار ومفاسد على البدن، وإن كان فيه غذاء على البدن، وقد أُجريت التجارب في كلاب تناولت الدقيق الأبيض فكانت أقل عمرًا ممن تناولت الخبز الكامل الذي لم ينتزع منه شيء، فقد عاشت محتفظة بقوتها.

وفي "السلسلة الصحيحة" من حديث أم أيمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها غربلت دقيقًا، فصنعته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رغيفًا، فقال: «**ما هذا؟**» قالت: طعام نصنعه بأرضنا، فأحببت ان أصنع منه لك رغيفًا، فقال: «**ردِّيهِ فيه، ثم اعجنيه**». أي: رديء ما غربلتيه من النخالة إلى الدقيق ثم أعيدي عجنه.



وعكس ذلك في النخالة التي قد نزعت لبابها فهي أقل غذاءً لكن فيه جلاء وأسرع انهضاماً، والمتوسط لحفظ الصحة هو ما اتخذ على ماهيتها الطبيعية من دون نزع أحد أمزجتها.

والخبز المتخذ من الحنطة الحديثة يسمّن بسرعة، والقريب العهد بالطحن يحبس البطن، والبعيد العهد يطلق، والخبز الحار يعطش لحرارته ويطفئ لرطوبته ويشبع بسرعة وهو أسرع انهضاماً وأبطأ انحدارًا، والخبز العتيق اليابس يعقل وإن لم يخلط به غيره، والخبز الدقيق يعقل البطن أكثر من الثخين، والثخين يغذو أكثر من الدقيق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأحمدُ أنواع الخبز: أجودها اختمارًا، وعجناً، ثم خبز التنور أجود أصنافه، وبعده خبز الفرن، ثم خبز الملَّة في المرتبة الثالثة، وأجوده ما اتخذ من الحنطة الحديثة، وأكثر أنواعه تغذية: خبز السَّميد وهو أبطؤها هضماً لقلة نخالته، ويتلوه خبز الْحوَّارَى ثم خبز الخشْكار.

ومنه أصناف كخبز الطابون، ومنه خبز الشعير، ومنه خبز الفرن، ومنه خبز الأرز، ومنه خبز الفطير، وغير ذلك.

ومن أنواع الخبز التي عرفها الطبخ العربي القديم خبز يسمى خبز الأبازير، وقد وصف صنعه بأن يجعل على الرطل من الدقيق أربع أواقي شيرج، ونصف ربع من السمسم المقشور، ويعجن جيدًا ثم يخبز في الفرن المتخذ من الحطب، وأما الأفران المختلفة في زماننا المتخذة على صور معاصرة فمنها مضرة ومنها يفقد بعض القيمة الغذائية، وفي كتاب اليتيمة لابن حجاج وهو يهجو أحد الشعراء على أبيات قالها:

يـا سـيدي هـذي القـوافي التـي ... وجوهُهـا مثـل الـدنانير

خفيفـة مـن نُضـجها هشَّـة ... كأنهـا خبـز الأبـازير

وقد قلّد الفرنسيون هذا الخبز وسموه حسب لغتهم.

وأحمدُ أوقات أكله: في آخر اليوم الذي خبز فيه؛ -أي: الخبز المتخذ من الحنطة بطبيعتها- لأن المتخذ من لباب الحنطة كالدقيق الأبيض لا يطول مكثه؛ لأنه سريع إلى اليبوسة، وذلك لذهاب ظاهر الحنطة فهي كالحافظة.

وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وقد كان أحب الطعام إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الثريد من الخبز، والثريد من الحيْس، وقد شبّه فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على النساء وهي أحب النساء إليه، والقرينة المليحة من هذا التشبيه دلالة على أن الثريد فيه فوائد جما على البدن وقوى النفس، والله أعلم.

وقال المَرُّوذِيُّ: كنتُ أكبسُ لأبي عبد الله الخُبزَ في القَدَحِ وأصبُّ عليهِ الماءَ، فكانَ يأكلُهُ، ويشربُ ماءَ الخبزِ. قال: هُوَ يُقَوِّي. [الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣/ ٢٨٢)].

ونتحدث عن بعض أمزجة النبات والثمار:

حارة يابسة: كالزبيب الأسود، والزعفران، والزعتر، والعصفر، وإكليل الجبل، والريحان، والقسط الهندي، سنا مكي، والبردقوش، والأرز، والرمان، والتين المجفف، والجوافة، والعنب، والمانجو، والأناناس، وأشباهها في الطبائع .

حارة رطبة: كالزنجبيل، والكركم، والسميد، والقمح، والتوت، والمشمش، والتمر، والجزر، والموز، وأشباههم.

باردة يابسة: كالدخن، وقشرة الرمان، وبليلة، والكركديه، والحناء، والكمأة،

والليمون، وجوز الهند، وبذور العنب، والبلح، والتوت الحامض وأشباههم وهذه باردة جافة.

باردة الرطبة: كالبنفسج، والبامية، والشعير حسب إعداده، والهندباء، والطماطم كالقلقاس، والبطيخ الأحمر وأشباههم، وكل فاكهة أو نبتة لها مذاقها ويعتبر منه ولها درجات مخصوصة في مزاجها فبعضها حارة يابسة في الدرجة الأولى، وبعضها في الثانية، وبعضها في الثالثة، وبعضها تكن في الدرجة الأولى من البرودة وفي الثالثة في اليبوسة أو الرطوبة، فافهم ذلك.

فمن كان مزاجه خارج عن الاعتدال قام بالغذاء والدواء بالضد؛ كمن يشكو من البرودة والرطوبة فعليه بالحار اليابس فالضد أصل الطب، وقد ينتفع بالمثل ولكن لسبب، وليس هنا البسط في هذه المسألة.



المبحث السابع: ومن التعبير: أصل

عليك أن تدرك الأصل للشيء سواء صدر منه خيرًا أو سوءًا لكي يسهل عليك تأويله، وهذا الفصل نافع ماتع للمتحري لا سيما في الرُّؤىٰ القضائية والجنائية كالتي بين أيدينا من قضية وجناية السَّجينين.

ولما كان الطير فوق رأسه جرى له الحكم على رأسه، ونظيره فالحاكم بمثابة الرأس فصدر الحكم منه بصلبه.

وعندما سُحر نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أتاه في المنام رجلين، فكان أحدهما عند رأسه وهو موضع المادة التي عُمل بها الساحر، وذلك من شعره، والآخر عند قدميه وهو موضع التعب بينه وبين أهله، ولا يزال هناك الكثير من الفوائد الماتعة من رؤيا نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي قاعدة ومرجعية هامة ينبغي عليك أن تتفطن لها، وتتعلّم منها الرّبط بين البدن والبيت، ونحوه الألبسة وأشباههم.

فأصل الرؤيا لها أربعة أعمدة لكي تصل للمطلوب وهي:

(**جنس – صفة – طبع – مكان**)

فالجنس هو الأصل للشيء، فالإنسان من الجنس البشري، والحيوان من الجنس الحيواني، والشجرة من الجنس النباتي ونحو ذلك.

وأما الصفة فهو الصنف أو تميزه أو نوعه كشجرة النخل فلها صفتها، وهي من جنس الشجر، وذاك الأسد من جنس الحيوان ويُصنّف من السباع وعلى هذا فقس.

وأما الطبع فهي سجيته التي جُبل عليها والتعود والنشأة التي عليها، ومنها الطبائع من حيث العناصر أو من حيث الأخلاط أو الأمزجة هل هو حار رطب، أو حار يابس، أو



بارد رطب، أو بارد يابس، ومنها خاصيته وقوته ونحو ذلك مما عند أرباب الطب.

وأما المكان فهو مكان تواجده حسب ما عُرف به.

ويختلف الحكم باختلاف حال الرائي، فهذه قواعد هامة لكل الأجناس.

ومن التعبير اعلم أن الحيوان والشجر دالة على أناس، فالمذكر ذكر والمؤنث أنثى، فاعتبر من صفة أو ماهية الثمرة أو الحيوان على من دل عليه، فإن كانت نخلة أو تمرة قضيت على رجل عالم وهو من العرب لا سيما من أرض الحجاز، ودال على امرأة شريفة كما فسّر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ شجرة النخل بالمؤمن، ولما كان النخل كذلك كانت إحدى رُؤاه رُطب فطُبَّ من لبيد اليهودي، وربما دل على رجل نَفَّاع شريف مطواع للناس، وأصله عشيرته، نَفّاح بالخير، مخصب حسيب سهل ثبات إيمان، علو الهمة، وربما يُعمَّر إلى السبعين أو الثمانين، وتدرك مزاجه حار رطب، وقيل حار يابس.

وإن كانت شجرة جوز قضيت على رجل من العجم؛ لأن منابت الجوز ببلاد العجم، يتعلم علم النجوم أو يتابع منجماً، يغش في تعامله وخصومة عند المناظرة، ومزاجه حار يابس.

ومن جوز الهند من بلاد الهند، وزواج ونحوه، وربما دل على الفائدة الدوائية للمريض، أو من مرض قادم.

ومن السمسم من بلاد السودان أو ممن اشتهرت بزراعته أو اشتقاقاً سم سم.

وكما اشتهرت مصر بهذه الفاكهة وهي العنب فإننا نتعلم من طبيعة الإنسان من جنس أرضه، ففي أهل مصر اليبوسة؛ وذلك من حرارة ويبوسة البلدة، وهذا يولد النسيان كما جرى النسيان من قِبل السَّجين الأول، وإنما سببه الشيطان، وفيهم أيضاً الرطوبة ومن

ظاهر العنب ففيهم النعومة والقليل منهم من يشكو من ضعف البنية، ومن اللفظ عنب اشتقاقاً عكسياً ينبع نهر النيل، كما أن قليل السدر في اليمن من بعد العرم فيه من الشدة واليبوسة كان ذلك موصوفاً به أهل اليمن، ومن السدر سدود جمع سد.

كما قال لي رجل من اليمن: رأيت أني أحمل فاكهة كيوي.

قلت: تشكو من زيادة في اليبوسة، وعلاجك الكي. ودليله أن هذه الفاكهة ليست من فاكهة البلدة مما اشتهرت بها.

وثمرة الزيتون دالة على أحدهم من بلاد الشام، وربما دلت على معنى آخر، ولما كان العنب من شراب الملك ومن ملوك الثمار أتى الفرج للسجين من قِبل الملك، فما أصاب من خير أو شر نسبناه إلى ما ذكرناه.

وإن كان الأصل نمرًا، قضيت عليه بأنه رجل كثير الحيل والمكر رديء المعاشرة، لص، أو مهاجم، ولا ينتفع به غالبًا، وفي الغالب يكون من جهة البراري، أو ما دون الأكابر في البلد.

وإن كان الأصل طائرًا، علمنا أنه رجل ذو أسفار، لحالة الطير، فإن كان طائر الهدهد قضيت عليه أنه رجل عابد كثير السجود وعلى رسل الأكابر وعلى أصحاب العمائم والتيجان، وتواجده خارج البلد كونه سائب في مكانه وليس من النوع الذي يقيم في البلد، ومن أراد المعرفة أكثر في الحيوانات فانظر إلى كتاب حياة الحيوان الكبرى.

ولا نحكم بذلك على الإطلاق فالموافقة بما يوافق حال الرائي وأحداث الرؤيا وزمنها.

وعلى ما ذكرنا من الدلالات الغذائية للثمرة والعصير قس نحو ذلك في الاعتبار، فالعصير والخبز يحتاج إلى جهد وكلفة فاعط بقدر ذلك، وكلما كان العصير مفردًا في



المنام كان بما دل عليه من الخير أو السوء أقل من المركّب، واعتبر بما اعتاد عليه الرائي كمن يرى أنه يشرب عصير العنب وهو لم يعتاد عليه فدال على نكد، أو إرشاد لشيء بما دل عليه، والعصير الأصفر في المنام دال على الفرح والسرور، وهذا أطلقنا عليه بالدلالة المعنوية، ويدل على النكد إن كان غير ما اعتاد عليه أو مرض ومنه الصفراء إن كان يشكو من ضر محسوس، وهنا دلالة حسية.

كما قال لي إنسان وكان يشكو من داء السكري: رأيت أني في منزل خالتي، وشربت عصيراً، ولكن كان السكر يطفح في الكأس.

قلت: سبب مرضك كونك تجرَّعت مشروبـًا قام بخروج أحد الأخلاط عن الاعتدال وهو الحار اليابس؛ لأن مزاج ذلك الداء وغذاء السكر هو الحار اليابس.

وربما دل العصير على الدواء أو الغذاء، وربما دل عصير البرتقال على بِر القول وعلى الرقية؛ وهذا اشتقاقـًا إن توافق مع حال رائيه، والأحمر ربما دال على الزواج أو الملاهي أو على الحمراء، وقس ذلك في البيضاء والسوداء وهذا أسميته دلالة حسية أعني ما كان دلالة للطب، ولما كان العصير الذي في الآنية مآله وسط البدن كان من دلالات الآنية تدل على البدن في تأويل الرؤيا، فتفطن لذلك.

وإذا كان مركبـًا من مادتين في الرؤيا وكان جيدًا دل على الزواج لاختلاطهما، وأُلفة، واجتماع، وربما دل على سوء المزاج، وإن كان رديء كان عكس ذلك، وإن كان مركبـًا أكثر من مادتين فدال على نكد إلا إن اعتاد عليه وكانت القرائن جيدة، وربما دل على السحر، وعلى الاختلاط، والمال المشبوه، وعلى التلبيس ونحو ذلك.

وإن كان في المنام باردًا حلوًا في الصيف ولم يتلوث به فهو رزق، وخير، أو فوائد، أو زواج، ونحو ذلك، وقس على ما تقدم ذكره من دلالات الثمار، والله أعلم.

المبحث الثامن: أخَمْرٌ في السجن؟

ذكر أهل التفسير أن المعنى للخمر في الآية هو العنب، ومما يعضد ذلك أن من الخمر يُتخذ من مادتين كالنخلة والعنبة كما في الحديث، وما ذكره أكثر أهل التفسير دال على مادة واحدة سواء كان عنباً أو عناقيد عنب، ومعلوم أن الشيء بعد عصره لا يُعصر فكيف يُعصر الخمر بعد تخمَّره؟! فما ذكرناه يقوي ما ذهبوا إليه من تفسير الخمر بالعنب، ومن قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٣٦] أي: أسقي. وسيأتي الحديث عن لفظ العصر بمعنى السقي، وعلى نحو الاختلاف نخرج بقيَم لتأويل الرؤيا وهي:

- اعتبر اختلاف الظاهر على الباطن والعكس.
- التأويل بالمعنى، وقد بيّنا في رؤيا يوسف بما يكفي من المعاني لطالب العلم.
- اعتبر على ما يوافق حال المكان والزمان ولغة أهله أعني لهجة أو لسان الرائي.
- اعتبر لهجة الرائي إلى المعنى المفهوم حسب معاني اللغة، ودليله كما اعتبر الخمر بالعنب.
- اعتبر الشك لدى الرائي كمن شك في أمرين في منامه، أو رأى إشارة مع يقين بها وشك بإشارة أخرى، فهنا الحكم على الأمرين، وغير ذلك من الفوائد.

والغريب ممن استدل من تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السَّجين الأول ما يُسمى **التأويل بالمعتقد**، وهذا لا يستقيم؛ لأن المقصود بالخمر هنا العنب، والظاهر أنه لم يطلع على تفسير الآية، والله أعلم.



فائدة:

قول الضحاك أن أهل عُمَان يسمون العنب خمرًا فلعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن يقيم في مصر؛ أعني: عندما كان في قصر العزيز؛ ويَعضد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾ [يوسف:٢١]. أي: اشتراه لمكان آخر غير مصر، وأيضًا كما عند أهل اللغة فمصر تطلق على البلد أو المدينة، ولكن مثل هذه المسألة تحتاج إلى بحث مع الاستدلال، والله أعلم.



المبحث التاسع: المُسكر في المنام

أحيانًا يُقصد بالمشروب مطعمًا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فاعتبر المأكول والمشروب من المسكرات عند من يعتقد تحريمه على مال حرام، وغير ذلك من الدلالات.

وكما ذكرنا فالمأكول دال على مأكول في أغلب الرُّؤىٰ كما في رؤيا السَّجين الآخر من أكل الطير ومن رؤيا الملك، ويدل على الغيبة، وربما دل على الزواج أو الحمل، وغير ذلك من دلالات الأكل.

وربما دل المسكر على فساد، وذلك لاختلاف تصرفات العقل الصحيح، وعلى داء السكري، ودال على فتنة وخصومة إذا اجتمع عليه، وعند من يحللها دال على العز، أو أرزاق وخير، وربما دل الخمر عند من يعتقد تحريمها على قضاء ديون وراحة، ويدل على رزق واسع مع إثم، ويدل على هموم وأحزان، ويدل على الغباء، وعلى الرجل الخبيث، ويدل على عمل الشيطان، وعلى فساد الفطرة، وسحر الجنون، فاعتبر حال شاربه.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في المطبخ وشربت كأسًا من خمر.

قلت: أخذت مالاً مشبوهـًا، وتشكو من مرض مما يولد الخصومة مع أهلك، وعندما تخرج من البيت يتغيّر حالك، فكان كذلك.

ودليله أن الخمر مفسد، وهنا فساد أخلاط طبيعة البدن وهو مرض.



وآخر يقول: رأيت أني أشرب خمرًا من زجاجة.

قلت: قلبك متعلق بامرأة، وقد سكرت بحبها وتريدها.

فقال: صحيح.

قلت: اتركها ولا تعد وهو خير لك.

فقال: لا أستطيع.

ودليله أن الخمر دال على العشق، فافهم ذلك.

واعتبر أكل المحرمات حسب أحكامها في الشريعة وليس على الإطلاق في حصر تأويلها بذلك، فإن كان في المنام لأجل الضرورات فربما دلت على الرزق الحلال، والفرج بعد الشدة وإلا فلا.



المبحث العاشر: فصول الرؤيا

وهي على أربعة أوجه:

الأول: محمودة ظاهرًا وباطنـًا، كمن رأى أكل الفاكهة أو كان عليه لباس حسن.

الثاني: مذمومة ظاهرًا محمودة باطنـًا، كمن رأى أنه يأتي أحد محارمه فيُفسر بصلة الرحم، أو الحج ونحو ذلك إن خلا من تكرار مثل هذه الرؤيا ومن ضر محسوس.

الثالث: تأتي محمودة ظاهرًا مذمومة باطنـًا، كمن رأى أنه يضحك بصوت عالٍ؛ دل على نكد.

الرابع: تأتي مذمومة ظاهرًا وباطنـًا، كمن رأى أن ثيابه تلطخت بالدماء أو بالزيت ونحوه؛ دل على نكد.

كما قال لي إنسان: رأيت أني عروس فوق عربة العسكر.

قلت: تُحبس بتهمة من قِبل امرأة، فعن قريب جرى ذلك.

فائدة:

ليس لزامًا عبور كل رؤيا بعبور مغاير خلاف ظاهرها، فالرؤيا على معيارين هما: **(نصية – وتأويلية).**

فالنصية: تأويلها يكن نصيـًا؛ أي: كما هي فتفسر كما وردت فكما أنه رأى أنه يعصر خمرًا كان عبورها يسقي ربه خمرًا، وكذلك تجد تكرار لفظ الخمر في الرؤيا، وفي التفسير، ومثل هذه الرُّؤىٰ تأتي لبعضهم بما عنده من صدق فتقع كفلق الصبح، والبعض ربما بسبب مرض يشكو منه فيجد بعض رؤاه تقع على ظاهرها.



كما قال لي إنسان: رأيت زلزالاً ضرب في بلد الكويت.

قلت: هذه لا تُحمد، فجرى ذلك الزلزال بعد الرؤيا بشهرين.

والتأويلية: أي تحتاج إلى تفسير.

كما في رؤيا يوسف، وقد تحدثنا سابقًا عن تفسيرها، ورؤيا السَّجين الآخر، فقد فسّرها بصلبه، ومما يَعضد تفسيره في موضع آخر من كتاب الله تعالى قوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ [الحج:٣١]، وكذلك تفسيره لرؤيا الملك، وتجد أيضًا في حق السَّجين الآخر نصية جزئية، فالجزء النصي هو أكل الطير.

ومن عصر العنب؛ فإن العصر يلائم الخبز والسمسم كذلك كما عند أهل اللغة، ويقال: للعصير زيتًا، ولكن اختلف تفسير رؤيا الآخر وذلك لاختلاف القرينة الأخرى، وعدم توافق ذلك، فتجد من تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رؤيا الملك ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩] بسبب سقي الغيث للنبات والثمار، وهنا السقي كان تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للغلام الأول، وذلك لتوافقهما، ولأن السقي يتوافق مع الشراب، كما قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ: ١٤]، ولذا فقد كان رؤيا الآخر تأويلية وليست نصية، والله أعلم.

وعندما كان السَّجين الأول صادقًا كانت رؤياه نصية وحُكِم له بالبراءة.

ولما كان الآخر جانيًا فيما حرثت يداه؛ كانت رؤياه تأويلية لكونها تحتاج إلى بحث وتحري فحُكم بِصَلْبِه، فافهم ذلك.

المبحث الحادي عشر: أصل الفاكهة

تعلمنا أن أصل الرؤيا على أربعة أجذاع ثابتة، ومن دلالات العنب على ذلك فالأصل: جنسه الشجر، وهو من صنف الفواكه، وهو غذاء، ودواء، وألوانه الأبيض والأسود والأحمر وغير ذلك، واشتهر في مصر وفي بلاد الشام واليمن وغير ذلك مما اتصف به مما سبق ذكره، ولما كان العنب لا يصلح إلا متدلياً على عيدان أو جُدر كان للسجين الأول نصيب وهو حيطان وجدران السِّجن.

وأما السَّجين الآخر فـ (خَبَزَ) في اللغة العربية على وزن: ضَرَبَ، فيقال خبزه خبزًا؛ أي: ضربه، والمتأمل في رؤياه مع هذا المعنى يتوافق مع تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو الصَّلب وهو شبيه بالضرب، فإذا ضُرب المضروب في ذلك العضو وأُكل كان دليل على الموت، وكما قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢]، وهذا الاعتبار بالمعنى.

ونستدل فائدة أخرى في التأويل، وهي: ربما دل أكل الخبز في المنام على الموت بشرط إن عضد ذلك باقي قرائن الرؤيا وإلا فلا.

وعلى هذا فقس في أحكام شتى من أصل الرؤيا.

كما قالت لي امرأة: رأيت أربع تفاح، ثلاث منهن فاسدة والأخرى صالحة.

قلت: هناك ثلاث نسوة يأتين إليك وفيهن صفة سيئة مشتركة، ونخشى عليك منهن.

قالت: صدقت.

ودليله أن الرديء من الفاكهة تفسد التي بجوارها.



وأخرى مريضة تقول: رأيت تفاحة صغيرة الحجم في فرجي.

قلت: عليك بحقنة الخل مع العسل.

وآخر يقول: رأيت بيدي فاكهة الخوخ، وكنت أمام متجر الفقيه.

قلت: لعلك خائف مما تكتبه من علم، فاطمئن، واستعن بالله ولا تعجز، فالخوخ هنا دال على الأمان، فكان حاله كما ذكرنا.

وربما دل الليمون على اللوم على من دل عليه، ويدل على الدواء للمريض بالحرارة؛ لا سيما مرضى تهيج الدم، فإن الليمون مزاجه بارد يابس، وإذا مزجته مع الزنجبيل والكركم كان نافعًا لمن يشكو من ذلك، ويدل على حفظ الغذاء، فافهم ذلك.



المبحث الثاني عشر: صنوان وغير صنوان

نتعلم أن الثمار تفسيرها في الغالب يدل على فوائدها الصحية، من غذاء أو دواء؛ فتارة لورقها، وتارة لغذائها، وتارة للجمال بها، وتارة لطبائعها، وتارة للمجموع.

وربما استنبط منها الدلالتين معـاً أعني دلالة حسية ودلالة معنوية.

ودالة على أناس فالذكر منها مذكر، والأنثى منها مؤنث، فالعنب والخبز مذكر، فكانت دلالة على الغلامين، فمن طلب ثمرة وكانت مليحة على غرضه أو بشيء منها حصل له ممن دل عليه تلك الثمرة من جليل القدر، أو من أحد أبويه، وذلك كونها من الشجرة، أو من زوجة، أو ولد، أو معلم، أو أستاذ، أو معيشة، أو ملك، أو من دابة، أو مملوك، أو بضاعة؛ ونحو ذلك، ودليل ذلك من رؤيا السَّجين وتأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن كان الرائي أعزب تزوج لا سيما إن أكلها، وتكن صفة الزوج بقدر صفة الفاكهة ونفعها ومزيتها من بين الثمار.

وتدل على الحمل؛ فإن كانت في إقبال الزمان كانت فائدة من دلت الثمرة عليه قريبة، وإن كان في أوان سقوط الورق وبطلان ثمرتها فراحة ذلك بعيدة متأخرة على قدر ما بقي لظهور ثمرتها، ولعل زمن رؤيا السَّجينين كان في زمن حصاد العنب والحنطة، فيُفهم أنه ربما زمن العنب والحنطة في مصر في آن واحد.

ريحانة الربيع:

كما كان هناك إنسان لم يُرزق بذرية منذ تزوج، وكان السبب في ذلك عدم خروج أصل الماء الحيوي للقاح عند المعاشرة، وهذا ما يسمى في زماننا بداء صفر الحيوانات المنوية، **فقال لي**: رأيت شجرة أعرفها في قريتي، وكان على جذعها سهم



يشير إلى أعلى الشجرة وكانت ثمارها كالنجوم، وقلت في المنام: الوحيد الذي سيفتح لغز هذه الرؤيا هو الربيع. انتهت الرؤيا.

فقلت له: نصنع من ثمارها مركبا لك، فانتظرنا بضعة أشهر حتى أتى موسمها، وصنعنا له ذلك، فتناوله شرابًا وادهانًا ولم يبرأ، فحزنت لأجله، ثم مكثت شهرا وأكثر أتدبر في الرؤيا ووجدت أن الثمرة شبيهة بهيئة ذلك الداء حتى قُذف في روعي أن أعتبر الشجرة بالجسد، فالساق دال على الأقدام، والسّهم شبيه بهيئة الحُقنة، ويكون ولوج ذلك المركب عبر حقنة شرجية لبضع ليال، فمزجت تلك الثمرة مع أعشاب من الطب النبوي وصنعت منها مركبا له، ففعل ذلك، فبرأ، حتى أنه كان يبكي من الفرح، والعجيب أني بحثت عن هذه الثمرة فوجدتها أنها من الثمار النادرة، ولم أجد لاسمها مكان في كتب الطب إلا في كتب أرباب اللغة، وهذا من فضل الله علي، حتى أنه انتفع منه الكثير من المرضى بهذا الداء الذي انتشر كثيرا بين المسلمين.

وقال لي إنسان: رأيت فاكهة نزلت من السماء إليَّ.

قلت: لعلك تنتظر إرث والدك وسيأتي عما قريب. **فقال**: صحيح.

ودليله أن الورث نزل بيانه من الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مفصَّلًا واضحًا جليًا، والوالد باعتبار على من دل الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه، فتفطن لذلك.

ولما كانت رؤيا السَّجين الأول عنب كان مآله على صفته، وأما الآخر كانت تعب في أول وآخر حياته وذلك شبيه بالحنطة عند إعدادها حتى صارت خبزًا فأُكل فكان آخره نكد، وإذا تأملت لحياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد كانت أولها تعب ونصب، وكان آخرها راحة، وذلك من الشمس والقمر على ما تقدم بيانه في الجزء الأول، والله أعلم.



ومن الثمار المختلفة اعتبر الشيء باختلاف طبيعته، فالفاكهة الرطبة في المنام دالة على رزق لا بقاء له؛ لأنه يفسد، واليابسة رزق كثير باقٍ.

واعتبر الشيء الواحد باختلاف رائيه، فإذا ذهبنا على أن المعنى للخمر لرؤيا السَّجين الأول هو خمر فهنا الاعتبار باختلاف الأديان والعادات، كمن يرى أنه يأكل الميتة، فهي لمن يعتقد تحريمها مال حرام أو نكد أو رخصة للضرورة على من دلت عليه، وهي رزق وفائدة عند من يعتقد حلها، كما أن أكل الباقلاء الأخضر عند الصابئة: مال حرام، ونكد؛ لأنه محرم عليهم، لكون من يعظمونه كان يقول: مبدأي من نواره، وقوتي من أخضره، ويابسه مباح لكم، وجميع أهل الأديان كلهم رسموا عادات لأتباعهم ضبطًا لهم عن التعدي عن شرعهم، فصارت قائمة مقام الدين المشروع عندهم، ونحو ذلك فاليهود يحرمون لحوم الجزور، والمجوس يحرمون لحوم البقر، وبعض اليونان يحرمون لحوم الدجاج، والإسلام يحرم الخمر، فهذا وما أشبهه: حرام عند من يرى ذلك، وأرزاق وفوائد عند من يحلها.

واعتبر ألفاظ الناس بالنسبة إلى اصطلاح حال الرائي، كما تقدم ذكره من معنى العنب، فأهل عُمَان يطلقون عليه خمرا، ونعتبر ذلك وفق ألفاظهم، كما إذا دل البطيخ على النكد من بطاط، وهذا باطل أو خائن، وهو عند البعض دال على النكد من محبة وعشرة؛ لأنه بلغتهم حب حب، كما إذا دل الجوافة على آفة وجَوف وهي عند بعض أهل اليمن دالة على البركة وعلى الزيتون أو زيته؛ لأنها بلغتهم زيتون وعلى هذا فقس.

ويختلف باختلاف الأمراض فالحلو لمرضى الحرارة طول مرض ونكد، والحامض جيد لهم وهذا الدواء بالضد كما في اليقظة.

ويختلف باختلاف الأزمان، فإن شرب البارد في الصيف؛ رِزْقٌ وفوائد وخلاص من



شدة ونحوه، وفي الشتاء دل على نكد ومرض، وللمريض طول مرض.

ويختلف باختلاف الفصول، فإن رؤيا الساقي لعل ذلك كانت في فصل العنب، وكذلك الخباز في موسم ادخار الحنطة، فالشجرة في إقبال الزمان خير وفائدة مقبلة، وكذلك ظلها في زمن الحر، وتدل على النكد في غير ذلك؛ لأن إقبال زمان كل شجرة قرب انتفاع الناس بها فيما هي مرصدة له، فافهم جميع ما يمكن النفع فيها، فذلك إقبال زمانها، فمن كان يريد الحطب عن الشجرة اليابسة: راحة مقبلة مُيَسّرة، ولمن يطلب ورقها كورق العنب وقت ظهور الورق: فائدة مقبلة، وإن دلت قرائن الرؤيا على تخصيص ذلك الزمن فافعل ذلك وإلا فلا، كمن يطلب الفائدة بعلم الطب من شجرة ورآها في زمنها فعليه أن يتحرى في ذلك الفصل، ولمن يطلب ثمرها: فائدة وقت ذلك، وقس على ما ذكرنا في باقي الأحوال للمنام الواحد كاختلاف اللغة، واختلاف الموت والحياة وغير ذلك.



المبحث الثالث عشر: عُسر أو يُسر

ومن التعبير: إن كانت الثمرة سهلة التناول كان من دل عليه سهل قريب الراحة، وإن كانت صعبة أو لها شوك أو مرّة الثمرة أو تالفة الثمر كان من دل عليه بخيلاً أو شَرِس الخلق أو خبيث المكاسب، وكلما كانت أقرب للفم أو أكله كان ذلك قريب وقوع الحكم، والعكس كذلك، وقس ذلك في جميع الأحوال.

واعتبر غاية الرائي، فإن كانت غايته من العنب عصره وكان ناضجًا، أو الحنظل للدواء وشبيهه على ما قصده بلغ مراده، وهذا من رؤيا السَّجين للخمر، فإنه لا يُعصر إلا عند استوائه؛ وإن وجد خلاف ذلك كان رديئا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني آكل عشبة الحرمل وكان طيب المذاق؟

قلت: اختلط مالك بمال رديء، وتجرعت ذلك بسبب عدو، وستُخرج ذلك الرديء وتكون حرًا من غير أن يقيدك عدوك، وعليك بالحرمل فهو دواء لك من مرض في بدنك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت أني آكل تينًا مجففًا.

قلت: هل تشكو من ضعف في الدم؟

قال: نعم.

قلت: عليك به فإنه من الثمار النافعة لزيادة الدم.

ومن رؤيا السَّجين دلالة على أن الثمرة إذا كانت مجتمعة كالعنب والرطب ونحوه دل على فائدة ورزق هنيء، وكلما كان مفترقًا فرزق أتعب، فافهمه.



المبحث الرابع عشر: سجين حاذق في الرائحة والمذاق

حُبب للنفوس الحلو ولكثرة استعمال الناس والدواب له كان جيدًا في المنام كما كان محبوبـًا عند ملك مصر، وكان البارد الحلو محبوبـًا لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو رديء للمريض الذي لا تصلح له الحلاوة، وإذا زادت الحلاوة أو المرارة ونحوهما في المنام أو وجد مذاق ذلك عندما استيقظ دل على نكد، أو مرض، وللمريض طول مرض؛ والحامض رديء إلا لمن تنفعه الحموضة؛ لأن النفوس تنفر منه، والمر والمالح أولى بالرداءة إلا عند الضرورة وهما دواء أو عافية للمرضى.

وإن كان الرائي ينفر من الحلو فدال على نكد، أو مرض، وقس ذلك في اليقظة إن كان ينفر من العسل واللحم فدليل على أنه عليل.

واعتبر الريحة الجيدة أو الرديئة على نحو ما تقدم ذكره.

ولما كانت الرائحة والمذاق لهما مكانة من رؤيا السَّجينين وذلك مما رواه عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من تفسيره لجواب يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للسجينين كان لهما مكانة في علم الطب وعلم التأويل، ولعل يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان له باع في هذا العلم وكذلك أبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

جاء في "الصحيحين" من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»** .



ولما كان المؤمن الصادق غريبًا صارت الأترجة غير معروفة عند أكثر الناس، وصارت هذه الفاكهة من النُّدر في بعض البلدان، والمقصود أن المذاق والرائحة لهما دلالة في التأويل والطب، كيف لا وقد أدرك يعقوب ريح يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن بُعد وهو أعمى، ومن الحديث دلالة على معانٍ عدة وفوائد ملاح منها:

دال على أن الثمرة أحيانًا تُفسر بإنسان.

ودال على المذاق وكذلك الريحة لهما فاعلية عند أخذ الفائدة منهما.

ودال على فائدة طبية نفيسة أن المؤمن إذا ابتلي بمرض شديد زمنًا يكن دوائه بالضد كالحنظلة لمرضى البلغم بعد استفراغه بالسنا والسنوت، ونظيره لما كان المسك أطيب الطيب كما في الحديث حكمنا بأن ذلك نافعًا لمن يشكو من روح خبيثة.

كما قال لي إنسان: تكرّر عليَّ رؤيا أكل الحلوى، وعندما أستيقظ أجد مذاق ذلك ولا أسيغه.

قلت: أنت مريض وتسرف من أكل الحلوى فتزيد من الطين بله، فتوقف عن ذلك، وعليك بالمُريَّات مفردًا، ومن ثم السنا والسنوت، ومن ثم الحجامة، فكان حاله كذلك، وفعل بما أرشدناه فبرأ.

فإن سأل سائل: كيف أشرتم بالريحان إلى يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما تقدم وفي هذا الحديث ذم على الريحان؟

قلت: يختلف التشبيه باختلاف المقصد؛ فقد جاء في القرآن الكريم ذكر الريحان على المحمل المحمود، وأيضًا لما كان المريض في الغالب علاجه بالمُريّات والحوامض كانت دلالة على أن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان بارعـًا في الطب، فقد كان ريحانة وشفاء مما آل به حال أبيه يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من مرض الرطوبة بسبب



الحزن فعوفي، وذلك من قميصه، وكما هو معلوم أن مزاج الريحان حار يابس فيتوافق مع الرطوبة وذلك بالضد، والله أعلم.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في سوق حنظل؟

قلت: جرى لك نكد في تجارتك وتشعر بالتعب عند عبادتك، وذلك بسبب عدو، فكان كذلك.



المبحث الخامس عشر: جدران السجن ذات ألوان

واعتبر ألوان الثمار إن وجد ذلك، فالعنب على تفاضل أحدهما على الآخر.

فالأبيض أفضل، ويُسمّى بالرازقي، فدال في المنام على رزق، أو زواج الأعزب، أو حمل للزوجة وذلك من ظاهره ومن حمله للعنقود ونحو ذلك، وربما دل على مرض البلغم أو الصفراء.

والأسود منه دال على ما ذكرنا إن كان ممن اعتاد عليه، وربما دل على السوداء، وقس في الأحمر، وربما دل على الحمراء، أو كان علاجه من ذلك، ولا نحكم بالدواء على الإطلاق إلا إن كان يشكو من ضر محسوس، فهذه دلالة طبية، وأما الدلالة المعنوية فهي نحو ما تقدم ذكره.

مثال مليح: الموز الأصفر: يفسر الموز ولا يفسر اللون، والموز الأزرق يفسر اللون ولا يفسر الموز لماذا؟

الجواب: لأن الأصل في الموز لونه أصفر، فالموز هنا رمز أصلي، واللون رمز فرعي، لكن إن رآه في المنام أزرق اللون فهنا الموز رمز واللون رمز أيضـًا.

ونعبّر أصل اللون عندما يكن ملفتـًا في المنام مثال: رأيت موزة شديدة الصفرة، أو حليب شديد البياض، فهنا نعبّر بذلك الشيء المميز، فهنا يكون اللون خرج عن الطبيعي، ووقع وصف مدح، وقد تفسر امرأة صفراء طبيعتها ولا نعبرها بالسعادة أو بالمرض إلا إذا كانت تشكو من ضر محسوس، ولتفسير المثال السابق فقد يدل على امرأة شديدة الجمال ونحو ذلك، وأما اللون الأزرق فنفسر اللون على تلك المرأة، فالأزرق أحيانـًا يدل على أن أفعالها أفعال أهل الشر، فتفطن لذلك.



فالألوان الثابتة لا تفسر في المنام كمن رأى موزًا أصفر، أو حليبًا أبيض؛ لأنه في الغالب يكن الموز أصفر اللون، ولا يوجد حليب إلا ولونه أبيض، فالعبرة بالحليب وليس ببياضه، والعبرة بالموز وليس بصفرتها، لكن إن قال: رأيت حليبًا أحمرا أو أسود اللون، أو موزة زرقاء اللون، فهنا جاء شيء غريب ويجب أن يعتبر ولا يهمّش، وعلى العابر أن يتأمل في أحداث الرؤيا وزمنها وحال الرائي وسوف يصل إلى سر ذلك الشيء المختلف على طبيعته في اليقظة، فافهم ذلك.



المبحث السادس عشر: فاكهة بين أسوار السجن

تحدثنا أن الثمار أحياناً تدل على الرزق والفائدة فاعتبر من حال الثمرة أحكام عدّة: فالحجاب إن كان على ظاهرها فتلك صعوبة بقدر ذلك الحجاب، وقس ذلك في المذاق وغير ذلك، والثمار على أسوار مختلفة وهي:

الصنف الأول: على سور فالعنب والتفاح وأمثالهم رزق لا يصاحبه نكد في أوله حتى آخره لخلوها من حجاب على ظاهرها وخلوها من النواة وكون مذاقها حلوًا.

الصنف الثاني: على سورين فالحلو من الخوخ والبرقوق وشبههم رزق أولها سهل وآخرها تعب؛ لأنك تتوقاها خوفاً على أسنانك لئلا تؤذيها، ولمرارة لب نوائه، وتخشى أن تبتلعها أو تظل عالقة فيصعب ازدرادها، فهنا اختلاف على ما سبق ذكره وقس ذلك فيما يشبهها من الموز والفول السوداني والفستق واللوز فأرزاق أولها تعب وآخرها هنيء، وبعضها أتعب من بعض على قدر قوة حجابه، كقوة حجاب الحبحب ونحوه، فاحكم بما ذكرنا، وقد يكون للشيء وله حجابان كالجوز فحجابه: الأول: قشره والصفاق الذي في قلبه حجابه الآخر، لأنه لا يؤكل إلا بزواله.

الصنف الثالث: على ثلاثة أسوار كالرمان، يأتي أوله نكد ووسطه هنيء وآخره نكد؛ لأن أوله نكد لمرارة قشره، ووسطه هنيء لحلاوة حبه، وآخره نكد لمرارة ما هو نابت فيه، وأما البرتقال والأترج فأوله نكد لمرارة أوله، ووسطه رزق هنيء لحلاوته، وآخره نكد لحموضته؛ وقد يكون الشيء أوله هنيئًا، ووسطه نكداً، وآخره هنيئاً كالمشمش اللوزي.

وعلى ما تقدم بيانه قس ذلك على اللحم فالعظم تجده حائلاً بين ظاهره وباطنه،



فيكون أوله هنيء ووسطه نكد وآخره هنيء وليس بالقدر كما في أوله، وهكذا في باقي أعضاء لحم الحيوان.

واعتبر الصوت للثمرة عند أخذها فما كان له صوت عند أخذه أو كسره فهو مال بخصام، أو من رجل بخيل كونه لا يلين بسهولة، أو يكتم ما آتاه الله تعالى.

واعتبر مراحل حياة الرائي وسِنّه من الثمرة على ما تقدم ذكره، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧]، فبما أن الله شبّه الإنسان بالنبات ومنه الثمرة فاعتبر بما تقدم ذكره من مراحل الأسوار على مراحل عمره أو رزقه من الثمرة أو الشجرة إن دلت عليه أو قصدها وحكمت بذلك، فمنهم يكن أول عمره رزق، ووسطه فقر، وآخر عمره رزق، أو أول عمره نكد، وآخره راحة، ومنهم يكن عكس ذلك أو كان أول حياته راحة، ووسطها نكد، وآخر عمره راحة، ونحو ذلك مما سبق بيانه.

واعتبر ظاهر جسد الرائي من ظاهر الثمرة، وكذلك في الباطن.

كما قال لي إنسان: رأيت نصف ثمرة.

قلت: اشتق من اسمها فلها دلالة لك، ولك من فائدتها الغذائية أو الدوائية، وهي دواء لأوجاع نصف البدن، وسنك في الثلاثينات؛ فكان كذلك، لأن أعمار هذه الأمة إلى الستين. فافهم ذلك.

واعتبر بما صار إليه كالشوك على الشجرة أو الثمرة دل على دماميل أو طلوع على من دل عليه، ودل على البخيل.

المبحث السابع عشر: سجين جنى فنجا

هناك فرق بين الثمار وبين نظيرها، من حيث الفوائد وثباته وغير ذلك، فإن أخذ أرفع مما هو عليه كانت معيشة دارة أو فوائد أو رزق أو تحول في صنعته، وإن أخذ ما هو أدنى فعكس ذلك.

وعلى العموم فمن أقدم في المنام على عمل أرفع من عمله دل على رفعة، وعز، وغنى، ومعيشة حسنة؛ ومن أقدم على عمل دون عمله دليل على النكد والفقر ومآل إلى أمر رديء، وقس ذلك في اللباس من أعلى البدن حتى أسفله.

ومن الآية المتقدم ذكرها نتعلم أن الرائي إذا جنى ثمرة من غير جنس أصلها كمن يأخذ الموز من العنب، والخيار من البصل ونحو ذلك فإنه من غير جنسه، فإن جعلته دواء فمن غير جنس ثمرته فحكمه مغشوشاً أو طول مرض، أو موت للمريض، وإن جعلته فائدة فمن بلاد من غير جنس منفعة ذلك البلد، وإن كانوا عساكر فمن غير جنسه، أو تزويج وولادة من غير النسب وذلك كونه هجين، ولكي نحكم بالخير أو بالسوء ننظر إلى القرائن فإن كانت رديئة؛ أي: كان الثمر تالفاً ونحوه دل على الحمل والولادة من الزنا، وإذا أخذ ثمرة من غير جنسها فإن كانت أكثر فائدة من ذلك فأرزاق ومعايش دَارَّة، وتدل على تحول صنعته إلى ما هو أرفع منها، كمن يرى أنه يأخذ من أصول التين زيتوناً أو تمراً أو رماناً ونحو ذلك، واحكم بالعكس لو أخذ الدون من ثمرتها أو شيئاً لا ثبات له، كمن يأخذ من أصول الزعفران وردًا طرياً ونحوه فإنه دال على عدم بقاء المعيشة في التي ينتقل إليها؛ لأن الورد كونه طرياً لا يطول في البقاء، وإن دل على الولد



كان قصير العمر، وإن دل على النكد فسرعان زواله.

كما قالت لي امرأة: رأيت ورد الجوري.

قلت: تراودين شاباً من غير بلدك بالمجيء ويجري منك جُور عليه لكونه رفض طلبك، فجرى ذلك، ودليله أن ورد الجوري هجين.

ويختلف أخذه للسائلات أو الزيوت بين الثمار وبين الحيوان، فإذا رأى أنه أخذ السائلات من الحيوان ولم يتلوث به فأرزاق، وفوائد، وخير ممن دل ذلك عليه، وإن تلوث أو تضرر به فهو نكد على من دل عليه، ولم يدل ذلك على الزنا، ولا الحمل منه، والفرق بينه وبين أخذ الثمار؛ لأن السائلات تؤخذ من الحيوانات كاللبن، والعسل من النحل، والماء، فتفطن لذلك.

وعلى هذا فقس في حال الشيء مع حال الرائي، وأعط بقدر ما يليق به.





المبحث الثامن عشر: بستان آخر

أعني بما يطلق عليها في عصرنا بالخضروات، وهي ما كان منها غذاء ودواء، كالبصل والثوم والكراث والباذنجان ونحو ذلك، فاحكم حسب أصول التأويل، وكذلك بفوائدها الصحية من غذاء أو دواء على نحو ما ذكرنا في الثمار، إلا أنها أقل رتبة منها.

ربيعية:

وهنا نكتب فائدة جليلة لأجل الغذاء والدواء، وربما كان لها صلة في تفسير الرؤيا وهي: كلما كانت الثمرة أرفع وأظهر للطبيعة كلما كانت أنفع وأطيب مما في جوف الأرض، وما كان على ظاهر التربة فهو أنفع من باطنها وبقدر ارتفاع الثمرة بقدر فائدتها، ودليله مما جرى من بني إسرائيل بتفضيل الرديء على الجيد، فالثوم والبقل والبصل من باطن الأرض كان رديئًا عليهم على لسان موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، **فإن قلت**: فما بال العدس فهو ظاهرٌ للطبيعة؟ **قلت**: لكنه في الغالب رديء على البدن كما عند أرباب الطب، ولعل جذوره له خاصية بجذب الرديء، وهو نافع لبعض دون بعض، وهكذا الحكم في أغلب الأغذية.

فإن قلت: كيف وقد سُمي بلحم الفقراء؟ **قلت**: قد جاء في السنة أن لحم البقر داء وألبانها شفاء.

ولما كان البقل والبصل والثوم وأمثالها سفلية، وعكسه العنب والرطب ونحوه علوية كان مآل الغلام الأول إلى فرج وعلو، وذلك بمجاورة الملك.

والخضروات شبيهة بالفاكهة من حيث الغذاء، فهي من جنسه، فمن ملك أو تحكم فيما يجمع شيئًا بعد شيء كالعُصْفر والمقثاة والباذنجان ونحوهم؛ فإن كان ملكًا



فجيوش، أو بلاد مترادفة النفع، وذلك للتاجر تجارة مكسبة، وللأعزب زوجة كثيرة الجهاز والنسل، ولأرباب المعايش معيشة دَارَّة، كل ذلك إذا ملكها أوان إقبالها، وهي في إدبارها أي في إدبار زمنها وموسمها عساكر مولية، أو تجارة خاسرة، أو معيشة بطالة، أو زوجة فقيرة أو لا نسل لها.

واعتبر لمن رأى حقل الفجل واللفت والخس والجزر والبصل وأمثالهم بتبديل الرديء على الجيد، ودالة على أرزاق لمن لا تضرهم لكنها غير مترادفة النفع، وذلك لأنه يؤخذ منها إلا للحاجة، وهي لمن لا تصلح له من المرضى؛ أي: لا توافق مرضه على طول مرض، وللمريض الذي تصلح له دواء.

وإن كانت دواء في الاعتبار فاحكم من ظاهرها فلها خاصيتها، وقس ذلك في ورقها، أو باطنها، أو زمنها، أو عددها، أو لبّها فله حكمه، ومكانها إن كانت على جبل أو سهل فله حكمه بأمر اختص به وغير ذلك مما يراد به في المنام حسب حال الرائي وعليك ألا تغفل عن هذا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في حمّام بخار، وكان يوجد جزر.

قلت: تشكو من أعصابك لا سيما الكتف، وعليك بالماء الحار مع الملح البحري فركًا، وعليك بعصير الجزر، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت دكاني تبدّل إلى متجر خضروات.

قلت: تُبدّل تجارتك إلى عطارة وتتنكد من ذلك، فجرى ذلك. ودليله أن الخضروات عمرها قصير بخلاف الحبوب فعمرها طويل، فافهم ذلك.

المبحث التاسع عشر: الداء والدواء

نذكر بعض أدلة تحريم التداوي بالمحرّم قبل الحديث عن تفسير الأدوية في المنام، فقد عقد الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ باباً بعنوان: **تحريم التداوي بالخمر**. وذكر حديثًا عن علقمة بن وائل، عن أبيه وائل الحضرمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، **فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا**، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ. فَقَالَ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**».

ومما يدل على تحريم التداوي به وإن كان لخاصية السُكر ما قد جاء في "الصحيحين" من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: سئل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن البتع، فقال: «**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حرام**)».

وجاء في "البخاري" من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تردَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يتردَّى فِيهِ خَالِدًا مخلَّداً فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تحسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يتحسَّاه فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخلَّداً فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خالداً مخلَّداً فيها أبداً**». والشاهد من قوله «**تحسَّى سُمًّا**» فكل ما هو حرام فهو كالسم على البدن، وإن كان المعنى له وجه آخر.

وفي الاعتبار احكم حسب معتقد الرائي في حكم ما تداوى به.

وأما شرب الأدوية في المنام للمرضى الذين يوافق مرضهم دال على العافية؛ كمن يشكو من الصفراء ورأى البنفسج أو ما كان باردًا رطباً ونحوه، وربما يأتي المنام نذارة كمن يتكرَّر عليه نبتة ونحوها.



وإن لم يوافق ذلك المرض دل على طول المرض، أو الموت بسبب اختلاف الدواء، وهذا يتطلب منك أن تتعلم الطب النبوي، فإن كل نبتة أو ثمرة تُقيّم على الماهية والنوع والاختيار والمزاج والقوة ومنفعته على أعضاء الجسد ظاهرًا وباطنـًا.

وأما شربه للأصحاء فإنذار بمرض يحتاجون فيه إلى مثل ذلك، وقد يُخفى عليه مرضه أو يقع به في زمن قادم.

كما قالت لي امرأة عزباء: رأيت أن من يقول لي عليك بورق الفجل فهو دواء لك.

قلت: قد آتاك خُطّاب من قبل وترفضين ذلك، وتزعمين أنك لا تشتكين من علة.

فقالت: نعم.

قلت: عليك بورق الفجل وتذهب منك العلة التي خفيت عنك، لأن ورقه يُسهل.

وقال لي إنسان: رأى بيديه ريحان يصنع منه حقن.

قلت: تشكو من داء أسفل السرّة، وعليك بصناعة حقنة شرجية من الريحان، وإن كنت طبيباً تصنع دواء للمرضى ينتفعون به، لأن اليدين دالة على عمل الصنعة.

وكان هناك امرأة منذ بضع سنين لم ترزق بذرية فقالت: رأيت والدي المتوفى بيده غصن أخضر، وقال لي: اصبري.

قلت: عليك بعشبة الصبِر، وسترزقين بغلام، فجرى ذلك.



المبحث العشرون: مرارة السجن صارت حلوة

اعتبر كل شيء رديء إذا صار جيدًا، أو المر ونحوه إذا صارا حلوين، أو الريحة الرديئة إذا صارت طيبة دل على الأمن من الخوف، وعلى الأرزاق والراحات من حيث لا يحتسب؛ لأن الرديء والمر والحامض دال على الخوف والشدة بما لا يخطر على بال الرائي، فلما تبدّل ذلك تبدّل الحكم أيضًا، وهذا يسمى التأويل بالبدل، كمن يخشى من مُر عشبة الصبِر أو حموضة الليمون ووجد ذلك حلوًا كان دليلًا على الأمان، وصلح مع الأعداء، وصلاح الفاسد، وعودة الضائع؛ لأن الرديء صار بحكم المفقود، ودل على زوال الشدائد، فلم يخطر ببال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الفرج آتٍ عبر رؤيا الملك.

وأما الجيد إذا صار رديئًا، أو الحلو إذا صار حامضـًا، أو فسد بعد صلاحه، انعكس جميع ما ذكرنا.

وقس ذلك في كل الأحوال على حسب كل إشارة لها دلالتها.





المبحث الواحد والعشرون: طب مصر من السجن

إذا كان الدواء جيدًا وذلك من قرائنه؛ دل للمريض على العافية ويكون ذلك من أرض الدواء، أو مما نُسب إليه، أو وسمه؛ كمن يرى أن علاجه التمر ونحوه ورق النخل فيكون للمريض دواء إما به أو عبر إنسان ممن دل عليه النخل كأرض الحجاز ونظيرها، وإن جعلناه في مكة ربما كان الدواء بماء زمزم، أو بالسنا المكي أو على يد طبيب من أهل السُّنة ذاع صيته ونحو ذلك، وإن كان مريضًا بالحرارة ورأى خيار سنبر كان على يد طبيب من مصر لكونه اشتهرت به، وإذا رأى المريض أنه في مصر دل على الأمن والعافية، وربما دل على السفر إلى مصر للعلاج، وذلك أنها اشتهرت بالطب في زماننا.

كما قالت لي امرأة مريضة: رأيت قبل بضع سنين أن علاجي على يد الربيع العابر، ولم تكن تسمع عن هذا الاسم، ولم يكن الربيع في ذلك الوقت طبيبًا أو عابرًا للرؤيا.

قلت لها: تفسيرها على ظاهرها وأرشدتها إلى السنا والسنوت.

وقال لي إنسان: رأيت الربيع في مجلس على كرسي وكنت جواره.

قلت: أنت تشكو من مرض قد أضر بك لا سيما في القُبل، وتُشفى بإذن الله على يدي، فكان حاله كما ذكرت.

وربما يأتي الدواء بحال مغاير.

كما قالت لي امرأة: رأيت على يدي ثعبان ألعب به أمام زوجي، وكان يخاف منه.

قلت: عرضتي له دواء نافعًا لداء به ورفض تناوله.

فقالت: صحيح.

وأما إن رأى أنه يشرب دواءً وظن أنه نافع له وظهر خلاف ذلك كان عليه تركه كمن يشكو من داء السكري وتناول عُشبة الصَّبِر، ورأى في منامه أو تكررت كأنّ بشرته صفراء اللون ونحو ذلك، نقول له: توقف عن ذلك؛ لأنك تشكو من اليبوسة، ولا يصلح له ذلك، ودليله أنه حار يابس؛ وإن كان معتادًا على دواء في اليقظة، ورأى أنه يشرب دونه نقول له: تمرض في بلد وتطلب الدواء المعتاد فما تجده، والمقصود المرجعية لما اشتُهر به ذلك الشيء.

كما قال لي مريض بعد أن سافر إلى الهند لأجل الدواء: رأيت أني أتناول دواء البيت الجديد.

قلت: أدوية الهند لن تنتفع بها، وعليك أن ترجع وتتناول ذلك المركب من الطب النبوي، فكان حاله كذلك.

وكان هناك امرأة: لم ترزق بذرية وبعد أن تناولت ذلك المركب رأت أنها تناولت دواء شبيه بدواء تناوله خالها للحمل فرزق بغلام.

قلت: هذه بشارة بحمل بعد تناولك لذلك المركب، وليس المعنى أن تأخذي كدواء خالك، فافهم ذلك.





المبحث الثاني والعشرون: ريحانة يوسف

واعتبر النبات كالزهر، أو المرج الخصب، أو الريحة الطيبة ونحوه بعلوم، أو أرزاق وفوائد، أو تجارة رابحة، وراحة وأمن.

وأنسب الرائحة، كما نحكم في الزهر من رجل فكاه، أو عطار، أو من يتعاطى بيع الطِّيب وصنعته. ومن المروج دل على يد فقيه أو علم نفيس، أو طبيب، وربما دلت عصارة الثمرة من عصَّار، وربما دل الخبز على يد خباز ونحو ذلك، وإن كان من عسل النحل فمن مسافرين وأرباب البوادي ونحو ذلك، وربما دل الشيء على ما يقصد منه.

كما قال لي إنسان: رأيت أني ببستان منزل أحد المعارف، وكنت أحمل على باطن كفي زهرة النرجس وكانت ذابلة، وبجواري طبيب، وكنت أعاتبه لماذا لم يعتني بها.

قلت: تقوم برعاية ساكني ذلك المنزل، وتخلصهم من أمراض، ومنها أسحار نجاسة، وتهتم بإحدى النساء لكون مرضها شديد، وتؤتى خيرًا فيما تكتبه، وتُبتلى ويلهمك الله الصبر، وذلك لأن النرجس ينبت من بصل، وأما صديقك فيحصل له نكد، فافهم ذلك.

الفلفل الأسود: دال على فوائده الصحية غذاء أو دواء، على العافية لمرضى الأورام، وعلى رجل أسمر اللون حار الطبائع، وربما كان من بلد الهند وغير ذلك من الدلالات، وتخصيصه بشيء مرهونًا من أحداث الرؤيا وحال الرائي، وأعط بقدر ما يليق به.

إكليل الجبل: دال على فوائده الصحية، وهو دواء للمريض، شربًا، أو حقنة من زيته لمرض البواسير، أو فركًا، ومن هيئته نافع للرأس وما فيه، ويدل على رجل نافع، وثبات.

المبحث الثالث والعشرون: جَنَس في السِجن

ومن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قول أبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ [يوسف: ٨٤]، ولما كان لفظ (داء) له اشتقاق من لفظ (دواء) كان ذلك دلالة طيبة نفيسة، ولما صار العنب لدى الساقي ناضجًا في السِّجن قام بعصره، فعند أهل اللغة: جَنَس الثمر: أي نضج كله، وكأنه جِنْس واحد، وتجد في رؤيا السَّجينين ثلاثة أجناس أو أضرب.

والمقصود: نحكم اشتقاقًا ونحوه في غالب الأشياء، ونستنبط فوائد مليحة نادرة نافعة للعباد، فكما قالت العرب: **(ولكل شيء من اسمه نصيب)** وهذا يتطلب لحاذق ماهر.

ومن ذلك فإن العنب دل على العناء للساقي، وكذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واشتقاقًا: عناء أب، وهو ما جرى للأب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما طال الغياب.

كما قالت لي امرأة: رأيت خالي يُلقم ابنتي عنقود عنب.

قلت: ابنتك تشكو من البطن، وذلك من عُقَد.

فقالت: صدقت.

ربيعية مليحة:

وإذا تأملت إلى اللفظة: سجن؛ دلت على: حبس، وهذا تصحيفًا، وهو أصل من أصول التأويل، وإذا حكمنا على عُشبة الصَّبِر تجد عند أرباب الطب أنه دواء لداء البرص، والبصر، وخذ من البردقوش لداء البرد، وخذ من السدر لأعراض الحسد



على البدن، ولما أُطلق على الأعمى أكمه كان له دواء من جنس اللفظ وجاءت به السنة النبوية ألا وهي الكمأة، وخذ من نكد اللّسع علاجه بالعسل، وخذ من عشبة الصفصاف لصفاء البقع الداكنة في ظاهر البدن، وذلك من مادة الجلي عندما يكن رطبًا، وفي المنام خذ من البطاط والرطب طب ومطبوب، ومن اللوز زوال لتلك الشدة، أو مما شابه اسمه، ومن لبان الذكر لمن يشكو من ذاكرته أو من ذكره، والثوم له نصيب لداء الجرثومة، ورأس الثوم لمن يشكو من صلع رأسه، وقشره لمن يشكو من قشر رأسه، ولما أصاب البياض في بصر يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأدرك ريح يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعوفي من قميصه كان الريحان نافعـًا لمن يشكو من بصره، ويجلي فساد ما خلَّفه الحزن والضيق من أخلاط فاسدة. وفي المنام لمن أكل الريحان إن كان عالمـًا فدال على الرياء، وللمريض عافية، وللخائف خير. والياسمين دال على اليأس والمين أي: الكذب، وفي اليقظة لما كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كالقمر وسُحر وسُمِّم في ساعد الشاة سارع إلى الحجامة، وقد خصّص في بعض الأحاديث أن تكون في يوم السابع عشر، أو التاسع عشر، أو الواحد والعشرين، وذلك أن الدم والبحار تتهيج في هذه الأيام، كما ذكر بعض أهل العلم، وصلة ذلك بالقمر لحكمة أرادها الله تعالى، ومن حديث الحبة السوداء علاج للسوء والداء، وإذا مزجت بالعسل بعد دقها كانت نافعة لمن يشكو من الحساسية والسواد في بشرته، وأمعن في داء ذلك العضو أو من اسمه مما يوافقه من هيئة تلك النبتة أو من اسمها، فتفطن لذلك موفق إن شاء الله تعالى، واعمل بها فهي توافق لغة كل مكان وزمان أو كما عند أهل اللغة مما ذكرناه من فوائد وفرائد في اليقظة واعتبارًا للمنام، وهذا أصل مليح لن تجده فيمن سبق ولم يُدَون مثله في زماننا حسب علمي، وهذا من فضل الله علي، فعليك به، وأمعن قبل الخوض في ذلك، وستدرك لآلئ مختلفة طيَّاتها، والله أعلم.



المبحث الرابع والعشرون: الخبز في المنام

ومن دروس الثمار فاليابس منها دال على أرزاق وفوائد، كالزبيب والتمر، وحبوب الحنطة كالقمح والشعير والأرز، والبقوليات كالفول ونحوه والحمص، وهكذا في الدهون كدهن السمسم، والسائلات كالزيت ونحوهم، وقس ذلك في النبات، وكلما كانت الثمرة أكثر ثباتـًا كان أكثر فائدة بخلاف البصل والثوم وأشباهها، وهكذا قس في المعادن كالحلي والمجوهرات فالذهب أكثر فائدة من الفضة، والفضة أطول بقاء من الأحجار الكريمة، وأفضل من النحاس، وعلى هذا فقس.

ومن ملك أو عنده من التبن والحشيش ونحوه مما هو مطعم للدواب فأرزاق وأموال لكونها تأكله فيصير لبنـًا وسمنـًا، ولحمـًا وشحمـًا، وجلودًا وسمادًا من زبلها ينتفعون به.

وقس في جميع الثمار أو النبات إن أكله أو ملكه دل على الرزق أو النكد حسب ما تقتضيه قرائن الرؤيا، ومصير ذلك على قدر مجيء تلك الثمرة وبُعدها، فكلما كان اليابس من الثمار معدًا كان أفضل وقرب مجيئه، وكلما كان تجهيزه وتهيئته يحتاج إلى زمن كان مجيء ذلك بحسب ما يحتاج إلى ذلك من الزمن، ولما كان الخبز ناضجًا في رؤياه كان وقوع الحكم عاجلًا، فافهم ذلك.

واعتبر الخبز بالرزق الهنئ والرغد والمعيشة الحسنة، وعافية المريض، وربما دل على البيضاء، ويدل على الزوج، والولد، والأم، وعلى الجسد، وعلى الأرض ونحو ذلك، وأما الأسود منه فعكس ما ذكرنا، وإذا لم ينضج في المنام دل على نكد، ومرض، وهموم ونحوه، ويدل الخبز على العلم والإسلام؛ لأنه عمود الدين، وحياة النفس،



ويدل على الأموال وهكذا قس في شبيهه من اليابس من الثمار، ويدل على الخصومة وكلام وشغب؛ لأن صنعته على النار، وإن كان الخبز غير ما يشتهيه الرائي كان إلى نكد، وضيق في العيش وعلى هذا فقس في مختلف الأحوال وأعط بقدر ما يليق به.

كما قالت لي امرأة: رأيت أني أخبز وكان مليحاً.

قلت: تحملين بعد ثلاث، فجرى ذلك.

وأخرى تقول: رأيت أني أخبز ولكن كان يسقط في التنور.

قلت: تصلحين زوجك ولا ينفع معه ذلك، ومصدر رزقه رديء، وتحصل خصومة منه، فجرى ذلك.

وربما دل الخبز على الخبر، وهذا يسمى تأويل بالتصحيف، فقد أتى للسجين خبر صلبه.

ومنه قوله: ﴿خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف:٣٦] فإن الجوارح غالباً غذاؤها اللحم، وكما أن الإنسان كالنبات فصار حال الخبز الذي يستخلص من النبات كحال جنس الإنسان معاً فصار الأكل عليه.

والبعض اعتبر رؤية الخبز دالة على الموت في جميع الأحوال، ولعل هؤلاء استدلوا بما جرى للسجين الآخر، وهذا ليس على العموم، فإن المتأمل في رؤياه يجد قرائن رؤياه دالة على نكد وتوافق حكم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من الحمل، ولكونه فوق الرأس، وأكل الطير، وقد تحدثنا أنه ما من رمز في الرؤيا إلاّ وله تأويل إما خير و إما سوء إلاّ اللواط فإنه عندما كان هذا العمل مخالفاً للطبع والشرع ومخالفاً عند الحيوان وعند الشجر في حال اللقاح كان هذا العمل تأويله في الغالب رديئًا، ويصب جملة إلى السوء، وقد زعم قوم بعد تجربتهم في حيوان الفأر أن جينيات الفأر تلائم مع جينيات



الفأر الآخر، وهذا من أقبح ما سمعت، وهم كاذبون فيما يدعون، وإن كان صحيحاً فهم أقبح من الفاسقة، وقد أُمرنا بقتلها.

وكما تكلمنا في الحلو والحامض قس ذلك على المطعم، وهو على وجهين:

فالأول: الحلو خير ورزق، إلا المريض فإنه مضر، وذلك لكونه لا ينفعه، فدل على طول مرض، أو إشارة له بأنه مريض إن كان لا يدرك ذلك.

والآخر: الحامض ونحوه المُر فإنه رديء إلا لمريض ينفعه المر أو تنفعه الحموضة فهو جيد له.

ومنها ما يؤكل بنار، ومنها بغير نار كالعسل والرطب وشبهها فأرزاق وفوائد على ما تقدم ذكره، وأما التي لا تؤكل إلا بالنار كالخبز واللحم وما أشبه ذلك فإن أكل قبل نضجه أو قبل استوائه دل على ما تقدم ذكره من الوجه الرديء، ويدل على الندم، والديون وبيع المتاجر قبل وقتها والخسارة ونحو ذلك، ويدل على الخصومة.

وأما تحول المأكول في المنام فاعتبر أصل المأكول وما يصير إليه.

واعتبر بما اعتاد عليه الرائي من المطعم والمشرب فإن اعتاد عليه في اليقظة وهو جيد في المنام فخير، وإلا فلا.

كما قال لي مريض: يتكرَّر عليّ رؤيا الأكل لا سيما لو تناولت دواءً فتأتي الرؤيا على إثره.

قلت: يتجدد عليك المرض في حال نومك، فإذا أتيت مضجعك وأتيت بأذكار النوم فكرّر، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١]. الآية، فقام بذلك وذهب عنه، وهذا الدواء بالضد، وكما قلنا: إن أصل الدواء بالضد، فافهم ذلك موفقاً إن شاء الله تعالى.



المبحث الخامس والعشرون: حِمل وحِلم في السجن لأجل العلم

ومن الدروس: نجد اللفظ: (حمل) أي: حَمَل الشيءَ يَحْمِله حَمْلاً وحُمْلانـًا فهو مَحْمول وحَمِيل، واحْتَمَله.

ولما كان الحمل ثقيلا على الروح، وكذلك على البدن دل على خير أو سوء على ما دل عليه المحمول.

فإذا كان المحمول حسنًا كالعلم فإن العلماء حملوا هذا الدين وهو خير لهم، وذلك لهداية العباد، وهي خيرية محضة، ومنها الرفعة في الآخرة؛ وقد ضرب لنا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحسن الأمثلة في الحِلم والحمل، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق بيانه، وابتلي نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أشد البلاء وحُمّل ما لم يتحمله غيره حتى إنه كان يوعك وعك الرجلين، فحمل هذا الدين حتى أظهره الله، واختار له صحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وهم خيرة أهل الأرض ليبثوا هذا الخير العظيم، فهذا كان حالهم وحال بعض رُؤاهم حتى توفاهم الله تعالى لكي يكون حالهم ورُؤاهم مدرسة للأجيال.

وكان نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الحِلم والصفح أفضل الخلق بهذه الصفة، بل في كل الصفات الحميدة، وليس هنا بسط ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[القلم: ٤] فكان خلقه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم.

وإذا كان الحمل في صفة رديئة كان مآل ذلك إلى نكد، كحال اليهود عندما أعرضوا عن العمل فقد شبههم الله بالحمار يحمل أسفارًا، فبئس المثل فيهم، وبئس القوم هم، ونظيرهم في العالم الذي ينسلخ من بعد الهدى، فقد شبَّهه بالكلب في حال حمله أو دون ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.



ويقاس على ما ذكرنا في التأويل فالحمل دلالة على الخير أو السوء حسب حال رائيه وحال الرؤيا وزمنها.

ولما أقدم السَّجين الآخر على عمل رديء للملك كان مآلُ ذلك إلى صَلْبِه، وقرائن ذلك من حمله للخبز فوق رأسه والطير تأكل منه، فإن الجوارح لا تأكل إلا في مكان عاليًا وثابتًا، وهنا قاعدة الاعتبار بالجوار، كمجاورة الخبز للرأس، وكذلك الطير فوق الرأس فغالبًا طعامه من اللحم؛ لأنه من الكواسر، ونحوه اعتبر الصغير بالكبير، أو الجزئي بالكلي، أو الفرع بالأصل ونحو ذلك أو العكس، وقياسًا بالبدن اعتبار السمع أو العين بالكلى، والخد بالبطن إن كان الأيمن فالبطن الأيمن، وإن كان الأيسر فالأيسر، ودلالة الفم أو الأنف بالقُبل، ودلالة الأسنان أو الرأس بالمعدة ويقاس ذلك في الدلالة الطبية للمريض، وهذا فصل مليح نفيس عليك فهمه، ودليله من حال السَّجينين، فتفطن لذلك.

ومن رؤياه يُستدل على اعتبار موضع الحمل والمحمول وفق حال رائيه، ولنتحدث عن الحمل الباطن:

حَبل المرأة: دال على زواج العزباء، وللحائل حمل، وللحامل ولد، ويدل على المرض، وقد كثرت رؤىٰ الحمل في زماننا، وذلك من الحِمل الفاسد في الأبدان بسبب ترك الطب النبوي، ومنه عدم القيام بأصول الاستفراغ.

كما قالت لي امرأة عزباء: رأيت أني حبلى، وتكرّر عليّ ذلك؟

قلت: أتاك الخاطب تلو الخاطب ولا يتم ذلك، وتشتكين من وجع في الرحم.

فقالت: صحيح.

قلت: عليك بالتحصين واستفراغ البدن بالمسهل والقيء.



ومثل حالها يتسرع بعض المعبرين فيعبّرها بالزواج، وتظل تنتظر ذلك سنوات، ولا يقع ذلك إلا في النادر، وإن جرى الزواج فإنه لا يمكث طويلاً فينشأ من ذلك خصومة بين الزوجين، وذلك بسبب التقصير أو لأن المادة الفاسدة في البدن حائلة بينهما، وأحيانـًا تكن هذه المادة بسبب عارض.

وأخرى مثلها ولكنها متزوجة.

قلت: لم تنجبي منذ تزوجت أليس كذلك؟

قالت: بلى.

قلت: لأن هناك مادة حائلة تمنع ذلك بعد أمر الله، وعليك بالاستفراغ، ففعلت، وحبلت.

وأخرى مثلها ولم تُرزق بذرية منذ بضع سنين وتقرأ سورة البقرة كل يوم، **قلت لها:** فاقرئي سورة النور كل ليلة، ففعلت وحملت بعد شهر.

وأخرى تقول: رأيت أني حبلى في الشهر السادس.

قلت: تحملين بعد ستة أشهر، ويحصل تعب عند الولادة، وذلك لأن البدن لم يستفرغ من قبل، فجرى ذلك.

وقس ذلك في رؤيا حمل التوأم للعزباء أو المطلقة أو الحائل، فإن وجد أحد الشرطين وهما تكرار الرؤيا أو ضر محسوس بالبدن فاعتبر بدلالتين، وربما كان مصدرهما واحد.

الولادة: دالة على خلاص الشدة، وفرج هذا إن جرى الطلق في المنام من دون صراخ، وفي مكان يليق به.

كما قال لي رجل: أن أخته قالت: رأيت أمي ولدت توأم ذكر، ثم قلت لأمي: معي

ستة إخوة، وصاروا ثمانية.

قلت له: زواج لها بعد شهرين، وإذا طال الأمر ربما حتى شهر شعبان، وذلك لأنه يعد الشهر الثامن من الأشهر القمرية، وقد مضى من عمر أختك ستة وثلاثين عاماً وثمانية أشهر، فهذا أحد التوأم من همَّها وغمَّها لدى الأم، والآخر ستحمل زوجته بإذن الله تعالى، وعليهم بدواء السنا والسنوت، وهذا تمام الآخر ليكونا توأم، لأن حمل التوأم دال على هم وغم يتعلق بأمرين، وولادتها دال على خلاص من شدة، أو عودة غائب ونحوه، فهنا سيعود ما غاب من الحمل، وقدوم الخاطب بعد غيابه، فكان نحو ما ذكرنا، فافهم ذلك.

وقد تأملت في رؤىٰ كتب القدماء التي تم تفسيرها من قِبَلِهِم فلم أطلع على رؤيا لامرأة نحو رؤىٰ الحمل المتقدم ذِكْرُها وعبَّروها بالزواج حسب علمي، وهذا إن دل فإنما يدل على ذلك الزمن بزمن العافية والسلامة خلاف ما حلّ بنا، والله المستعان، وذلك بسبب بُعدنا عن الكتاب والسنة المطهرة.

حَبلُ الرجل: يدل على نكد، وهموم وغموم، وحزن، وعدو وسط داره، أو دل على الكلام الرديء في قلبه أو في ولده، والولادة كما تقدم ذكره.

كما قال لي رجل: رأيت أني ألد غلامًا.

قلت: هل كان هناك أحد جوارك؟

قال: نعم، أناس.

قلت: مهموم بديون لأناس من أرض، ويحصل لك الفرج بعد أن قمت بإصلاح النكد بنكد آخر. فضحك، **وقال**: صحيح.

ودليله: كان بجواره أناس، فدل على دفع نكد بنكد آخر، فافهم ذلك.

المبحث السادس والعشرون: باختلاف السن يختلف الحُكم

نتعلم أن رؤيا بني آدم تحتاج إلى تأمل وعدم عجلة في التأويل؛ وذلك لما يثبت فيها من القضايا المختلفة، ودليله من أمر السَّجينين بما يتعلق من أمر الجناية ونحوها.

فالرضيع حتى سن خمس سنين أو أربع دال على النكد ممن حمله أو اتصف به أو تحول إليه، ومن باب أولى الحمل للمرأة لا سيما العزباء؛ لأن فيه من التعب والرعاية وما يحتاج إليه من التكلفة فدل على نكد، وربما دل على خير ولكن بعد زمن طويل وهذا في النادر.

ومن لفظ الصغير دل على الصغار، والسِّجن والجنون، وأما إن كان أكبر من ذلك دل على قضاء الحاجة، والخدمة.

وننتقل إلى الكَمِّ والكيف: فإن كانوا أكثر مما لا عادة عليه دل على النكد والغرامة، وإن كان يليق به دل على الغلبة والقوة.

وأما مرحلة البلوغ دل على عدو.

وأما الكهل فإن ذا شيب فدل على وقار وخير، وإن كان سواد شعره أكثر دل على ما دل الصغير من الجهل بقدر ذلك السواد.

وأما الشيخ إن كان في صفة حسنة دل على قضاء الحاجة والجاه والعلم، ونحو ذلك، وإن كان في صفة رديئة دل على عكس ذلك، فإن بعض مما ذكرنا مستنبط من حال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكما قالوا ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

المبحث السابع والعشرون: الرأس وما حوى

نتنقل إلى دراسة الرأس وما فيه، وما يحدث فيه، وذلك من قوله: ﴿أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف:٣٦].

فنبدأ من:

الرأس: والمتأمل لمجريات قصة السَّجين الآخر يجد أن الرأس دال على الرئيس للإنسان، والحاكم عليه، ونحوهما الوالدين والمعلم وغير ذلك، ويدل على الأخ، والولد، والصديق، وأعلى البيت وهو السقف؛ وذلك لكون الجسد كالدار، ويدل على المعيشة؛ وذلك لكونه قوام البدن، فإن كان حسناً حسن حاله على من دل عليه، وإن نزلت به آفة كما جرى للسجين أو قُطع تنكد أو فارق بمن دل عليه، أو فقر بعد غنى؛ لأن الرأس رأس المال، وإن كان مريضاً أو في حرب دل على الموت.

كما قال لي إنسان: رأى رجل أنه يحمل فوق رأسه لحماً.

قلت: يموت.

قال: نعم، لقد توفي بعد الرؤيا بأيام.

وآخر يقول: رأيت بندقية أطلقت على رأسي.

قلت له: هل أزعجك أمر يتعلق بأمك؟

قال: نعم، خبر وفاتها.

قلت: هذا تأويلها؛ لأن الرأس دال على الأم، فافهم ذلك.

الشَّعْر: إذا كان حسن فدال على راحة وعز وفائدة من زراعات؛ لأن الشعر شبيه به،



وإن كان عكس ذلك أو سال الدهن أو الزيت وتلوث به ثيابه أو وجهه أو كان الشعر طويلًا مغايرًا لليقظة، أو حلقه وهو غير معتاد لذلك دل على النكد والمرض، والهموم.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أمشط شعري وكان فيه دهن مليح وأنظر للمرآة.

قلت: تتزوج بامرأة أخرى، وتجني خيرًا وأرباحًا من صنعة بما دل عليه الدهن.

الجَبْهَة: فحسنها تدل على جاه الرائي وغنى، وتمام فرائضه، وإن كانت سيئة جرى عكس ذلك.

الحَاجِبَان: يدلان على اثنين: إما ولدين، أو أخوين، أو الوالدين، أو غلامين، أو زوجتين ونحو ذلك، فما جرى فيهما من خير أو سوء عاد على من ذكرنا، والميامن ذكور والمياسر إناث، وهذا عمومًا على الأعضاء للبدن الذي فيهما اثنان، والحاجب يدل للملك على حجابه وعساكره، ويدل على ما هو فوق نافذة البيت، وقس ما ذكرنا في أهداب العين.

الأنف: دال على ما دل به الرأس، والحاجبان كذلك، ويدل على الزوج، والمال، والصنعة، فما جرى فيه من حسن أو قبح عاد إلى من دل إليه، ويدل على مواضع الريح، وبيت الراحة.

السمع والبصر والذوق والشم: فكل واحد منهم دال على العز، والراحة، والمكاسب، والفوائد، والأمن، والفرح، والغنى. فإن ذهب أحدهم: خشي عليه من مرض، أو سجن، أو شدة، أو نكد، كما أنهم إذا حَسُنوا، أو أحدهم: نال صاحِبه عزًا، وجاهًا، وخلاصًا من شدة، أو عافية من مرض، وربما دلت الأذنان على أصحاب الأخبار، والعينان على الجواسيس.

وربما دل الفم أو الأسنان على المعدة، فما جرى من خير أو سوء عاد عليه.



واعتبر ما ذكرناه قياساً على البيت، فالفم والفرج ربما دل على الباب، والأسنان بأوتاد الباب، والعين بالنافذة وكذلك السمع، وربما دل الفم على القُبل، فما جرى فيها من خير أو سوء عاد على من دل عليه.

وأما ما بقي من أعضاء البدن فليس هنا بسطه.

كما قال لي إنسان: رأيت حاكم الإمارات أتى أناس من ورائه وكان عليه الهلع وعلى أنفه خدوش.

قلت: لعل ولايته لا تطول، ويذهب بلا عودة، ويحصل له من جهة لا تخطر بباله، فإن جرى ذلك فربما كان جزاء من يحارب دين الله مما قام به من البيت الإبراهيمي، وإنما هو بيت الفسق والضلال، وحكمنا عليه بما جرى لأبرهة الحبشي، وقد فعل مالم يفعله أبرهة.

واعتبر الحمل إن كان على الرأس فدال على رأس ماله، أو في أحد أبويه أو جاهه ونحو ذلك ممن دل عليه الرأس من خير أو سوء، وإن كان على عنقه دل على شيء في ذمته كالديون ونحو ذلك، أو جاهه وولده، أو في موضع أسفل البدن، وإن كان في صدره دل على معتقده، أو أمر يخفيه ونحو ذلك، وإن كان بين يديه دل على عمل قام به، أو كان في جوفه، وقس ذلك في الأقدام وغير ذلك من مواضع البدن، فما جرى من خير أو سوء عاد على من دل عليه، وأعط بقدر ما يليق به.

كما قالت لي امرأة: رأيت بدني يكسوه ذهب. **قلت**: أنت محسودة، وعندك تقصير.

فقالت: نعم.

وآخر يقول: رأيت على يدي قفل من حديد.

قلت: تشكو من ثقل في العبادة لا سيما عند صلاة الفجر، ومعطل عن السفر

والخروج، وتشكو من ساعديك ومعدتك.

فقال: صحيح.

قلت: عليك بالحقنة الشرجية من الدواء كونها شبيهة بمفتاح القفل، وسيلهمك الله فوائد ملاح إن كنت من طلبة العلم، فجرى له ذلك.

واعتبر بمن حُمل فوق النعش على الولاية، والعز والرفعة، والسفر، وغنى للفقير وزيادة فائدة للغني، والاجتماع بالأحبة، ولكن بالشروط المليحة دون قرائن رديئة كالصراخ والبكاء، أو سواد الوجه، أو اللطم وشق الجيوب، أو كان مكشوف العورة، أو ضحكـًا مكروهـًا، أو كان منتكسـًا وما أشبه ذلك، وقس ذلك في الصلب، وأما إن جرى شيء من ذلك دل على الفضائح، والأنكاد.

وإن عاد للحياة فدال على عرقلة المسافر، وعدم قضاء حاجته التي يسعى إليها هذا إن لم يصاحبه قرائن سيئة، أما إن كان عكس ذلك فدال على توبة المذنب، وزوال نكد ونحو ذلك.

وربما دل الصُلْب على مرض يقع في العنق كالورم والخانوق ونحوهما، وجميع ما ذكرت إن كان في صفات سيئة دال على ما تقدم ذكره.



المبحث الثامن والعشرون: النزاع في المنام

نتعلم تأويل النزاع قبل ذكر الموت، فالنزاع دال على خلاص من شدة، وتوبة الفاسق، وتجهيز المسافر والزواج، وعتق العبد، أو بيعه، وإسلام الكافر، والانتقال من دار إلى دار ونحوه، ويدل على المنازعة وذلك اشتقاقًا، والاجتماع بالغياب، وبما أن فيه خوفًا فيدل على خوف الآمن، وأمن الخائف وهذا بالقلب.



المبحث التاسع والعشرون: الموت في المنام

ولما جرى موت السَّجين الآخر وذلك من صلبه كان علينا أن نتعلم درس الموت في المنام.

فهو مؤكد لما دل عليه النزاع، ودال: على الزواج، والفقر، والسِّجن لكون الجسد مقيدًا لا يقدر على الحركة، وللصحيح مرض، وحاله كحال السَّجين قد مُنع من الحركة والخروج، وللمريض: موت، وربما دل على عافيته، ويدل على مرض الصرع إن عاش بعده في ذلك المنام، وعلى رمد العينين، وعلى التجهز إلى ملاقاة الأكابر لكونه ينتقل إلى الباري سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فدال على الأكابر ممن دل عليه الباري سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ونحو ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت جارتي المريضة كأنها مولودة بسن الشهر الأول؟

قلت: تموت بعد يوم، فجرى ذلك، وهنا قاعدة عددية فافهمها.

ولكي نحكم على محمل الخير أو النكد ننظر إلى باقي شهود الرؤيا، فإن كان في موته متوجهاً إلى جهة يعتقد أنها تقربه إلى ربه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، أو كان صورته حسنة، أو طيب الرائحة، أو أن حوله أرباب صلاح، أو نور: حصلت راحة للمسافر، وللمتزوج، وحسن خاتمة للمريض، أو عافية، أو سجن، أو ملاقاة الأكابر بكل خير ونحو ذلك، وإن كان خلاف ذلك حصل له نكد من ذلك.

وموت الأنبياء عليهم السلام في المنام دال على ضعف في الدين، وذهاب السُنة في ذلك الموضع، وحياتهم عكس ذلك، وموت الملك ضعف جنده، وموت العالم دال على إبطال حجة الرائي، وعلى ظهور البدع، وعلى هذا فقس.

كما قال لي إنسان: رأيت جثة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ في مركز محمد الريمي.

قلت: دُفنت السنة في ذلك الدار، وبزغت وعمَّت فيهم البدع والمنكرات.

وإذا كان هناك بكاء، أو نياحة، أو لطم الخدود، أو شق الجيوب ونحو ذلك فدال على نكد، وإذا كان عكس ذلك فدال على الخير ومآله حسن.

كما قالت لي امرأة: رأيت ابنتي المريضة أنها ماتت وكنت أصرخ، وكان هيئتها صغيرة؟

قلت: اقترب أجلها، فبعد ساعات توفيت.

فَحُكْم الخير أو السوء مرتهن بتلك الشروط المتقدم بيانها إن أتت قبل الموت أو بعده وفق حال رائيه، وذلك لكي تحكم حكماً صائباً إن شاء الله تعالى.

فائدة:

ما ذكرناه من الشروط الحسنة أو السيئة ومآل ذلك في حق الميت هي دلالات أحيانًا لأهله في اليقظة، وهذا من باب الظن وليس يقيناً، وذلك لمعرفة حال الميت في الدار الآخرة لكي يطمئن الحزين على فراقه؛ لأنه ما أتى من الموتى فهو حق مالم يكن فيه مخالفة، ففي الغالب تأتي رؤىٰ لأقارب الميت بعد موته بأيام وفيها دلالة إما أنه في خير، أو سوء عاقبة، أو يوصي بشيء لكي يقومون به، وربما دلت حالة المتوفى في المنام على حال رائيه.

كما قال لي إنسان: رأيت أمي المتوفاة أنها مريضة، وأنا بجوارها حزين على حالها.

قلت: حصلت لك شدة وحاجة في رزقك، وسيأتيك الفرج، وجرى كلام في عرضها في حياتها، فكان حاله كما ذكرت، وفرّج الله سبحانه وتعالى عنه.



وآخر يقول: يتكرَّر عليّ رؤيا والدي الميت منذ سنين وأرى أنه مريض، وبعدها تصدقت له.

قلت له: هل أنت تشكو من مرض قد أعياك؟

قال: نعم.

قلت: هذا تفسيرها وعليك بالطب النبوي، وربما بعد الاستفراغ لن تتكرَّر مثل هذه الرؤيا، فجرى ذلك.



المبحث الثلاثون: الاغتسال في المنام

واعتبر غسل الميت إن كان بماء نظيف بارد في الصيف، أو يُسخن في الشتاء: دل على الخلاص من الشدائد، وعلى وفاء الديون، وقضاء الحوائج، والزواج، وملاقاة الأكابر بكل خير.

وأما إن اغتسل بالماء الكدر، أو بالبارد في الشتاء، أو بالحار في الصيف: دل على الأمراض، والفقر، والنكد، أو السِّجن لكونه يتنكد منه فيمرض، أو زوجة رديئة، أو سفر رديء، وذلك لو أنه أراد ملاقاة الأكابر واغتسل بماء بارد في الصيف، أو بماء حار في الشتاء ذهبت منه الأوساخ، وكان في حلة حسنة لملاقاته فحكمنا بذلك بالخيرية، وعلى هذا فقس.

واعتبر لكل ملة ودين حسب عاداتهم ومعتقدهم في تجهيز موتاهم كحال السَّجين الآخر، فقد كان من عاداتهم صلب المذنب، وهذا التأويل بالمعتقد.

واعتبر الغاسل بالقَيِّم على الحمام، أو بتوبة المذنب على يديه، أو بالمعلم، فما حصل من خير أو سوء دل على ما ذكرنا.



المبحث الواحد والثلاثون: الكفن في المنام

وأما الكفن في المنام؛ فمن تَكَفَّن بكفن حسن دل على زواج الأعزب، أو غنى للفقير وذلك لكونه ارتاح من كدر الدنيا، أو اشترى دارًا لكونه سكن إليه، أو دل على الكسوة لكونه يستره، ويدل على تبييض جدران الدار، ويدل على عزل المنصب، ويدل على السِّجن، وأما إن كان الكفن رديئًا أو صدر منه رائحة كريهة، أو كان ممزقًا كان عكس ذلك، وربما دل على البلغم، وهو للمريض: موت.

كما قال لي إنسان: رأيت نباش القبور ينبش كل قبر حتى اقترب مني فرآني ثم ذهب.

قلت: يسلمك الله من سوء مما اتصف به نباش القبور كالسرقة ونحوها، ويجري ذلك على جيرانك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت أخي مع صديق له، يذهبان إلى الجنوب، وكان هناك أكفانًا يحملها في يده.

قلت: أخاك وصديقه، يعملان لدى المنظمة التي تعمل على إفساد النساء والسفر بلا محرم، فكان كذلك.



المبحث الثاني والثلاثون: الدفن في المنام

وأما الدَّفْنُ فهو نحو أحكام الموت، فدال على موت المريض، -وأعني بالمريض هنا مع ما سبق ذكره هو الذي صار مرضه مستعصيًا أو مزمنـًا-، وزواج للأعزب، وسفر، وعزل الوالي، وفقر الغني، وللصحيح مرض، أو سجن، ويدل على الصندوق لكونه شبيه بالتابوت، ويدل للمرأة أيضـًا على مهنة تجهيز العرائس، ويدل على البيض، ولكي نحكم بالخيرية على ما سبق فانظر إن كانت القرائن حسنة كما لو كان القبر واسعـًا، أو خضرة حسنة، أو رائحة طيبة، أو ثوبـًا، أو مأكولًا حسنـًا، أو صورة حسنة ونحو ذلك كان عاقبة ذلك كله إلى خير، وأما إن كان عكس كذلك كما أنه إذا كان القبر ضيقـًا، أو فيه دخان، أو حيوان مؤذٍ، أو رائحة كريهة، أو وجه قبيح، أو ضربه منكر ونكير، أو احترق بنار، وما أشبه ذلك كان رديئًا؛ فإن كان موتـًا كان حال الميت إلى العذاب، وإن كان سفرًا فليؤخر سفره أو قطع عنه ذلك، وإن كان مرضًا كان مرض مؤلم، أو موت.

كما قال لي إنسان: رأيت أني مت غرقـًا؟

قلت: جرى لك نكد من بعد زواجك وسفرك.

فقال: صحيح.

قلت: ولعلك ترزق الشهادة، والله أعلم، فافهم ذلك.





المبحث الثالث والثلاثون: الحفر في المنام

وأما حكم الحفائر إذا وقع فيها فحكم ذلك حكم القبر، إلا أنها أهون منه.

وأما إذا حفرها ليؤذي بها إنسانًا، أو في مواضع تؤذي الناس، أو في منافع الناس دل على من قام بذلك بإنسان رديء، وذلك بسبب قيامه بذلك، ودال على الخديعة والمكر يجري في حق الفاعل، فالجزاء من جنس العمل، وكما في المثل: **"من حفر حفرة لأخيه وقع فيها"**، وربما دل على من سقط فيها على مرض تعطيل الزواج، والحمل، والعبادة، والسفر، ويدل على وجع في الأقدام، والأمعاء، والضيق فإن كان كذلك توجب عليه أصول الاستفراغ، وهذه دلالة طبية حِسِّية إن كان يشكو من ذلك، ونحوه إن كان الفاعل مجهولًا.

كما قالت لي امرأة: رأيت أني في حفرة، وكنت أستغيث برجل ليمد يديه لمساعدتي، وكنت أجذبه إلى الحفرة وهو يتمسك بحافة الحفرة بقوة من أجل ألا يسقط، وما استطعت على جذبه.

قلت: جرى لك خديعة من إنسان من قبل أن تعلمي بهذا الرجل، وتظهري له طلب النجدة ظاهرًا، ولكن باطنك خلاف ذلك لكي يقع وما استطعت، فكان كذلك.

وعلى نحو ما سبق بيانه فقس في رؤية أشراط الساعة، والصراط المستقيم، والجنة، والنار، والله أعلم.





المبحث الرابع والثلاثون: الطير

تأملت في رؤيا السَّجينين وبحثت عن صلة بين الثمار والطيور فوجدت رابطًا حسنًا وله صلة أيضـًا برؤيا الملك من السبع الشداد؛ ألا وهي أن الطيور إذا اختفت من بلدة فإنها دلالة على جائحة قادمة من جفاف أو وباء ونحوه، فينتج عن ذلك فساد في الثمار والأبدان، والله أعلم.

واعلم أن للذنوب حرارة على الروح والبدن والأرض، فإذا طغت ارتفع دخانها إلى السماء، فيحصل على إثر ذلك حوادث كونية بعد أمر الله، فيتولد على ذلك تَغَيُّرَاتٍ في الطبيعة، فيتنكد من وراء ذلك الإنسان والحيوان والنبات، وذلك بأوبئة ونحوها، وهذا كله بأمر الواحد الأحد، نسأل الله السلامة والعافية.

يقول الإمام الشافعي: ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع.

نأخذ منه بما يوافق علم التأويل، فكما في حديث «**الرُّؤْيا عَلَى رِجْلِ طَائِر**» [رواه أحمد، برقم: (١٦١٨٢)، وأبو داود، برقم: (٥٠٢٠)، وقال الألباني: صحيح]، فإننا نسعى لكي يقع الذي في قدمه، فيتطلب ذلك لعابر ماهر في الرمي، فإن لم يقع ما بقدمه فإنه لا محالة أن الطائر سينزل في مكان ما حسب ما يلائمه بعد أمر الله، ولكن قد تذهب معرفة أمور كان حري بالرائي أن يقوم بالعمل بها بعد تفسيرها الصحيح، هذا إن حكمنا بأن الرؤيا تقع سواء عُبِّرت أو لم تُعَبَّر، وشيخنا **العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول**: أن الرؤيا إذا لم تُعبَّر لا تقع إلا بإذن الله تعالى، وسيأتي الحديث عن هذا في موضع آخر وبما يتعلق عن صحة هذا الحديث.



ولما كان الدماغ مادة صلبة وهي جمجمة الرأس فكسره يحتاج إلى شيء حاد فجرى للسجين النكد عبر طير كاسر، وهذا الطائر شبيه بالظالم وقاطع الطريق لا سيما إن لم يجد طعاماً وشراباً، ولهذا فأهل مصر فيهم الخوارج، وقد اشتهرت بذلك لا سيما في عصرنا، كانت الخوارج كالطيور الكاسرة يتربصون بأعينهم عن بُعد للفتك بالحاكم إن لم يُؤتِ طعامهم، وهذا دال على ضعفهم وجبنهم؛ لأن مثل هذا الطير يخرج بغتة على الضحية، ولا يأكل إلا على شيء ثابت وبعيدًا عن الآخرين، وهذا يوافق حالهم.

والطير من الحيوان، وهو من جنس الطيور، وكل طير له صفته، وبما أختص به على ما تقدم ذكره في أصول الرؤيا، وهذا لكي تصل إلى تفسير دقيق صحيح بعون الله تعالى.

ولنتحدث عن الحيوان على وجه العموم من حيث المنفعة والمضرة، فهي على أربعة أصناف، وهي:

الصنف الأول: نافع في الغالب على الإنسان كالبقرة والخيل وأمثالهم؛ فالضرر فيه وجوده كعدمه.

الصنف الثاني: مُضِرٌّ في الغالب كالسباع والحيات وأمثالهم، فالنفع فيه وجوده كعدمه، ولما كانت النفوس تَحْذَرُ منه وكان في المكان الذي لا ينبغي لها كان دلالة على السوء.

الصنف الثالث: فيه نفع وضرر كالصقور والفهود وأمثالهم كأداة للصيد، فالمنفعة فيه هو اصطيادهم فذلك نفع، وأما الضرر فهو ما يبذله من قوت وكلفة وعناية لكي تقوم بمراد مالكها، وبقدر النفع منها يحصل ذلك، وبقدر ما يحصل من كلفة فيها يحصل

بذلك الضرر على ما ذكرنا.

الصنف الرابع: لا نفع فيه ولا ضرر كالنمل ونحوه فلا تهرب النفوس ولا تحذر منه ولا فائدة في بقائه فانتفى الخير والشر منه.

فمن رأى عنده من ذلك؛ أو مَلِك واحدًا؛ نَسَبْتَه إلى ما ذكرنا من الحُكْمِ لذلك الصنف وحسب ما سيأتي بيانه.

المقصد: واعتبر مقصد الرائي من ذلك الحيوان:

فالمسلمون مقصدهم من الجِمَال ركوبها وحَمُولها، ويأكلون لحمه ويبيعونه، بخلاف الحمير، فإنها للركوب والحمول والبيع ولا يؤكل لحمه.

واليهود والنصارى غرضهم من الحمير والجمال ركوبها وحمولها ولا يأكلون منها.

ومنهم من يأكله ولا يركب عليه، ويبيعه كالغزلان والغنم والخنازير، ونحو ذلك.

ومنهم من يأكل لحمه في وقت صحته ويمتنع منه وقت مرضه لكونه يضره.

ومنهم من يأكل لحمه ولا يأكل الناتج منه، كمن لا يأكل الألبان والجبن والسمن.

ومنهم من يأكل الناتج منه ولا يأكل الحيوان، كالنحل يأكل العسل منه وينتفع بشمعه ويبيع النحل ولا يأكله، ولذلك قلنا ما انتفع به بنو آدم حتى يشمل جميع ما ذكرنا.

الجهة: واعتبر جهة الحيوان من أربع جهات وهي: البلد، والبر، والهواء، والماء، كالبقر فهو من جهة البلدة، ونحوها الجواميس من البلدة، أو البر كبلد مصر والسودان وذلك لتواجدها في تلك البلدان، وهي أرفع مرتبة من البقر لكثرة درها ولبنها، والحيوان الهوائي والبري المعد للإقامة عندنا كالطيور التي في الأقفاص حكمها حكم الذين في البلد بخلاف من كان مهملاً في مكانه. فافهم ذلك.

ومما سبق ذكره فعليك أن تحكم على الحيوان في المنام على ركائز أساسية وهي:

(الصنف، أو صفته، الجهة، طباعه، مكانه):

فكل صنف من الحيوان له صفته وخاصيته به دون غير مكانه.

فالحيوان في المنام غالبًا يدل على إنسان، المذكر منها ذكر، والمؤنث منها أنثى، كما ذكرنا في النبات والثمار، وحيوان البر ربما دل على رجل من البادية والطرق، فما صدر منه من خير أو سوء عاد على من دل عليه وعلى هذا فقس، ويدل على المرض إن كان يشكو من ضر محسوس وخلت صفة الحيوان على أحد ما ولم يوافق حال الرائي فأعط من صفته على ذلك المرض، كمن يرى الأسد ولم تجد في حال المريض من اتصف بصفة الأسد كسيد الدار ونحوه، فيدل على الإصابة، وصفة ذلك العارض لعله سيد قومه من الجان أو حاكم عشيرته ونحوه، وإن رأى الرائي الخنفساء فدال على شيء من طبيعته، أو امرأة رديئة، أو على أحد اتصف به، أو حكمنا عليه بما اتصفت به الخنفساء، فإن لم تجد ذلك ووجدت الرائي يشكو من مرض فلعل مرضه بسبب إنسان اتصف به، أو دال على سحر مدفون لا سيما إن كان المكان معلوم، وعلى هذا فقس حسب طبائع كل حيوان، ولا تحكم بمثل هذا على كل رؤىٰ الحيوان، فلا بد من شرطين تقدم ذكرهما، فتفطن لذلك.

واعتبر المصير أو التغيير: فأعط لمن صار من حيوان على صفة ذلك الحيوان على ما يليق به؛ والتغيير: نظير ذلك إن تحول حيوان له إلى صفة حيوان آخر فأعط على ما يليق به.

وإذا دل الحيوان على الفائدة السهلة فرأى أنه تحول في صفة حيوان صعب المراس دل على التعب فيما دل عليه.

المبحث الخامس والثلاثون: المأكول من الطير

واعتبر التي يؤكل لحمها كالحمام والكراكي والقطاء وأمثالهم، فذلك لمن ملكها دال على الأولاد والأقارب والأموال والأملاك والغلمان والمعايش، ويكون ذلك على قدر كثرتها وقِلَّتِهَا، فإن جعلناهم من الأقارب، أو المعارف ربما كانوا كثيري السفر، وإن جعلناهم أموالًا فلعل المال والفائدة من الجهة التي منها الطائر، أو من دل عليه.

واعتبر الصنف الثالث لمن ملكهم ليصطاد بهم، فإن اصطاد بهم ما يؤكل لحمه، قضيت حاجته، أو ربحت تجارته، أو دَرَّت معيشته، وإن لم يصطاد بهم دل على عكس ما ذكرنا، فافهم ذلك.

الكَمّ والكَيف:

فالكَم إذا جعلت ما تقدم ذكره فائدة تقول للملك: تملك بلدًا، أو تمسك جليل القدر، وتقول للأمير البطال: خدمة وخير على قدر الطائر الممسوك، وتقول للتاجر: ألف دينار إلى ستة آلاف درهم؛ لأنها لها ستة أعضاء: رأسًا وجناحين ورجلين وذنبًا، أو مائة دينار إلى ستمائة درهم، وفي زماننا بالعملة الورقية بنحو ألف ألف من عملة بلدته وأكثر، وتقول للمتوسط مائة درهم إلى ستمائة درهم وهي بنحو ألف من عملة بلدته، وعلى هذا النحو، وأعط بقدر ما يليق به.

وهو للصعلوك المتوسط عشرة دراهم إلى ستون درهمًا بنحو مائة من العملة العصرية، وتقول لمن هو دونه وللصغير: دينار أو درهم بنحو أدنى من المائة وما أشبه ذلك من المتعامل في ذلك البلد.

وهذه القاعدة تحكم بها بعد معرفة حال الرائي وعُمْلَةُ بلدته، وإلا فالأصل هو



الدراهم والدنانير من الذهب والفضة، وأما هذه الأموال الورقية فهي من حِيَل اليهود للهيمنة في الرأسمالية ولن يدوم مكرهم وسيأتي اليوم الذي يتعامل به الناس حسب ما كان عليه القدامى، والله أعلم.

ومنها دلالة على طبقات الناس من رؤىٰ سورة يوسف، فمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نال الحظ الأكبر، وذلك من الطبقة الرفيعة العالية، وذلك كونه نبي، ثم رؤيا الفتيان تحكي حال الطبقة الضعيفة، وكان مآل أحدهم إلى خدمة الملك، وأما رؤيا الملك فهو من الطبقة الثانية، والذين هم بعد الأنبياء، وتعتبر بالوسطى من بعدهم، ودونهم أعني في عصرنا حيث لا نبي بعد نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يكن حال الملك من الطبقة الأولى، وهذه مراتب ثلاث قس بها وأعط بقدر ما يليق به.

وأما الكَيف فإن كانت أكثر في العدد على الفقير فدال على نكد، وإن كانت قليلة في حق الكبير كالملك أو التاجر فدال أيضًا على نكد؛ لأن ذلك لا يتوافق ولا يلائم ولا يتكيَّف مع حاله، وإن كان عكس ذلك فدال على ما تقدم ذكره من الخير.

وعلى هذه القاعدة قس في كل الأبواب.

كما قال لي إنسان: رأيت في داري أموالًا كثيرة.

قلت: جرى لك نكد من أهلك.

فقال: صحيح.



المبحث السادس والثلاثون: طائر الرائي

الطير في المنام وتأويله: فالطائرُ جَمْعُه: طَيْرٌ، كصاحب وصحب، وجمع الطير: طُيُورٌ وأَطْيارٌ مثل فرخ وفروخ وأَفراخ.

وقال قُطْرُب، وأَبو عبيدة: الطَّيْرُ أَيْضًا قَدْ يقع عَلَى الْواحد وقرأ ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]، وطائِرُ الإِنسان عمله الَّذِي قُلِّده، والطيْرُ أَيْضًا الاسم مِنَ التَّطَيُّرِ، ومنه قولهم: لا طير إِلا طير الله، كَمَا يُقَال: لا أَمر إِلا أَمر الله.

وقال ابن السِّكِّيت رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُقَال: طائِرُ الله لا طائرك. ولا تقل: طير الله؛ وأَرض مَطَارَةٌ -بِالْفَتْحِ-؛ كثيرة الطير، وقولهم: كأَن عَلَى رؤوسهم الطَّيْرَ، إِذَا سكنوا مِنْ هيبة، وأَصْله أَن الْغُرَاب يقع عَلَى رأْس الْبعير فيلقط منه الْحلمة والحمنانة فلا يُحَرِّك الْبعير رأَسه؛ لئلا ينفر عنه الْغُرَاب، وطارَ يطير طَيْرُورةً وطَيَرَانا وأَطَارَهُ غيره وطَيَّرَهُ وطايَرَهُ بِمَعْنًى، وتَطايَرَ الشيء تفرق، وتطاير أَيْضًا طال، واسْتَطار الْفجر وغيره انتشر، واسْتُطِيرَ الشيء طُيِّر وتَطَيَّر مِنَ الشيء وبالشيء والاسم الطِّيَرَةُ بِوَزْنِ الْعنبة، وَهُوَ مَا يُتَشاءم بِهِ مِنَ الْفأْل الرّديء وفي الْحديث: «**أَنه كَانَ يُحِبُ الْفأْلَ ويَكْرَه الطِّيَرة**»، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل:٤٧] أَصله تطيرنا فأُدغم.

ومن التأويلات للطير في المنام دال على السفر، وطيران المريض بلا عودة دل على الموت، وهكذا لو خرج الطائر من جسد المريض أو من البيت أو مما اعتبر بالبدن لرؤيا المريض.

والطيران على شيء أو كان ممسكًا بشيء دل على فوائد وسفر وعلوم واطلاع على



أمور غريبة، وإما إن كان بدون شيء فنكد، وربما تكرار رؤيا الطيران دل على مرض الصفراء -أعني: المرارة- وهو زيادة في الحار اليابس وعليه بالاستفراغ.

كما رُئي لمريض: أنه كان في الطائرة.

قلت له: هل كان السفر إلى مكان معلوم؟

فقال: لا.

قلت: اقترب أجله، فمات.

وقالت امرأة: رأيت زوجة عمي المريض كانت في طائرة وجوارها الأهل، ولكنها كانت مكشوفة الرأس.

قلت: اقترب موت عمك، فجرى ذلك.

واحكم حسب أصول التأويل من الاشتقاق ونحوه على الطائر، وذلك من صفته وطبائعه واسمه وغير ذلك مما يلائم الحال كالهدهد هداية، ويدل على هد العامر، وطائر الكرك: ترك وتركيا، ومن طائر البجع صياد بالشباك، وعلى هذا فقس، فإذا عُرف الطائر فأعط رائيه حكم ذلك.



المبحث السابع والثلاثون: حُكم الطير

منه حلال ومنه حرام، فالحرام في المنام مثل ذو المخلب كالصقر والبازي والشاهين ونحوهم فدال على لصوص، أو قطاع طرق، من جهة الهواء والبر، وإن أكله الرائي فدال على مال حرام، أو غيبة ممن دل عليه، وربما دل على الرخصة في سفر، وخلاص من شدة.

وأما ما يأكل الجيف كالنَّسْر والرخم واللقلق ونحوهم فدال على ما تقدم ذكره، ودل على أناس معيشتهم من الحرام أو عين ترقبك أو في البدن، أو نازلة في النهار، وربما بشيء حاد ونحوه، وانظر من أين أقبل؟ وماذا جرى منه؟ ومكان ذلك؟ وربما جرح، وذلك من جوارح، أو كسر من كواسر، وعلى هذا فقس في الأحكام على باقي الطيور.

والحلال أصنافه كثيرة وسيأتي الحديث عنها.





المبحث الثامن والثلاثون: طائر مسجون

ولما كان القفص شبيه بالسِّجن كان كل حيوان هوائي أو بري في القفص تحت إقامة مالكه تحت الحكم وشبيه بالذين في البلد، ودل على الزوجة كونها تحت إقامة زوجها وبيتها شبيه بذلك، ودل على المسجون والأسير، ويدل على الجوار والأسارى ونحوهم ممن هو عاملًا مستجلبًا فهو تحت أمر سيد عمله، ويدل على الأولاد والأموال المخزونة، ومما ذكرنا لكونها تحتاج إلى كلفة وعناية، وإن ربط الطير، أو جعله في قفص كان ممن دل الطير عليه كثير الإقامة عنده، وإن طار فارق ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت عصفورًا قد أصابه التعب وقمت برعايته في قفص حتى حسن حاله وكان جميلًا.

قلت: جرى منكم عناية على صغير كان مريضًا ثم عوفي وصار مليحًا وتخشون عليه من الآخرين.

فقال: صحيح.

واعتبر كل طير يُقَصُّ ريشه للنفع؛ أو لحسن منظره على الأموال، وذلك لكونه يباع ويُشترى، والناس ترغب به، وقس ذلك في ريش الأنعام المرغوب بها، ودل على النبات لكونه نابتًا، والأولاد لكونهم من ظهره، وعلى القماش لكونه مسترًا به، وعلى الدور لكونه ساكنًا في داخله، وعلى العُدد لكونه يدفع الألم لا سيما القنفذ لكونه يقاتل به.

وإن رأى طائر الطاووس فإذا كان ريشها عليها فهي امرأة بجهاز، أو جارية، أو بنت مليحة، أو معيشة مفيدة، أو مركب لكونها شبيهة بذلك، أو بستان مليح، وذلك من نبات

ريشها وهنا من اللفظ، فإن جعلناها امرأة كانت كثيرة التيه والدلال، وإن كانت بلا ريش انعكس ذلك كله.

كما قالت لي امرأة: رأيت طائر الطاووس في غرفتي.

قلت: زواج لكِ برجل حسن فيه نفع، ويحصل لكِ أمانٌ على يديه، والله أعلم.





المبحث التاسع والثلاثون: نَقر فجاء الخبر

ولما كان نقر الطائر شبيه بآلة الحفر، وسطح الرأس شبيه بسطح الأرض، كان نقره أحيانـًا دال على الموت.

وهذا من رؤيا السَّجين، ومن رؤيا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

واعتبر أصحاب الأصوات، وأعط الرائي بما يليق به، كعصفور الدوري دال على من هو كثير الكلام، ويسرق ممن دل عليه ذلك المأكول، ولما كان صوت منقار الطائر رديئًا على الرأس كان نكدًا على رائيه.

وأما إن كان له صوت مُغرد كطائر الشحرور والبلبل وأمثالهم دلوا على الواعظ، أو الخطيب، أو أرباب قرآن، فمن كان عنده حامل رزق ولدًا، أو تملك جارية تكون ذات صوت حسن، ويدلوا على أرباب الغناء والنوح أيضـًا، فمن كان عنده مريض وصوّت وبكى على صوته بلا صراخ: تعافى مريضه، وإن كان بصراخ أو بضحك أو برقص ونحو ذلك مات مريضه، أو قدم نعي الغائب، أو تعطلت معيشته، أو فارق لمن دل عليه مما ذكرنا.

والطيران لأمثال هؤلاء دل على قضاء المديون، وعتق العبد، وخلاص من شدة، وعافية للمريض، ويدل على السفر إن كان على مركب في زمن الرياح.

وكما ذكرنا بأن من في القفص يدل على الأسير أو المسجون، فمن رأى أنه يطعم ذلك الطير أو يكلمه أو يتعامل معه على خلاصه سعى على خلاص من دل عليه، وإن كان مريضـًا قام بخدمته وإن طار بغير أمره مات مريضه، أو فارق من يعز عليه، أو هلك ممن دل عليه في القفص، فافهم ذلك.

المبحث الأربعون: بستان من الطيور

نذكر بعض الحلال من الطيور، وهي:

الدجاجة: ومزاج لحمها حار رطب في الأولى، خفيف على المعدة، سريع الهضم.

وتدل في المنام على امرأة، وهي من الصنف الأول فيها نفع، ومن جهة البلد، فمن ملكها كانت كثيرة النسل، أو معيشة دارّة في وقت دون وقت، ورزق ومنفعة إن كانت مطبوخة أو مشوية ممن دلت عليه الدجاجة، وإن كانت غير نضيج فغيبة في تلك المرأة.

ونحوها في التأويل الإوز إلا أنها تشترك في جهة الماء؛ لأنها تحب السباحة، وإن دلت على خير أو سوء ففي آخر الشهر أو السنة، وزوجها لا يفارقها عند الحمل.

ومزاجها: حار يابس، رديء الغذاء: إذا اعتيد، وليس بكثير الفضول.

وأما صراخهن في المنام فدال على هموم وأحزان ونوائح، والسوداء منهن ربما دل على سوء وداء، وعليه فقس.

وعلى قاعدة المصير فإن صارت الدجاجة ديكًا انقطع نسل من هي عنده ممن دلت عليه، وتدل على الولد الذكر، أو بطلت الفائدة، وتدل على كثرة الكلام والنقاد إن دلت على المرأة العاقلة، بخلاف الوزة طال عمرها لكبرها وقَلَّت فائدتها، والدجاج عكس ذلك.

الديك: ومزاجه أسخن مزاجًا، وأقل رطوبة، والعتيق منه دواء للقولنج والربو، والرياح الغليظة إذا طبخ بماء القُرْطُم.

وتأويله في المنام دال على رجل حسن غيور لا سيما على عرضه، فمن ملكه رزق



ولدًا ذكرًا، أو معيشة دارّة، أو خدمة نافعة، أو اشترى دارًا، ومن صفته دال على قدوم غائب، أو خبر عنه، ويدل على المؤذن، والمنادي، والخطيب، والواعظ، والحارس وبائع الأقمشة؛ لأن ريشه شبيه ذلك، وتجرده منه دال على الفقر أو مرض الجدري، وإن نقر إنسانـًا أو أزعجه بصوته حصل له نكد ممن ذكرنا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أدخلت ديكـًا إلى داري.

قلت: تستضيف رجلًا سمسارًا.

فاستضاف رجلًا وأصَر عليّ أنه ليس بسمسار ثم أدرك بعد زمن أنه سمسار.

وآخر يقول: رأيت أني أُعانق ديكًا كونه سيذهب.

قلت: ستحزن على فراق مؤذن المسجد لكونه سيسافر ثم يعود، فبعد يومين سافر المؤذن وحزن عليه الرائي، فافهم ذلك.

الحَمَام: مزاجه: حار رطب، وحْشِيُّه أقل رطوبة، وهي في المنام دالة على امرأة صالحة حافظة للأسرار، وعلى الزواج إن أمسك بها، أو دخلت الدار ، وعلى الرسول الأمين، وعلى رسول الأكابر؛ لكونها تحمل الكتب من مكان إلى مكان، ويدل على صديق صدوق، ولمن عنده مريض تدل على الموت، لأنها بكسر الحاء حِمام، وهو الموت، وهذا التأويل بتغيير الحركات، وهي جارية عربية، وربما دلت على السِّحْرِ، فإن السَّحَرة يعقدون السحر على أحد أعضائها فإن كان في العنق، فيمرض المقصود بضيق ووسواس، وإن كان على جناحيه كان على يديه من تعطيل الزواج وعمله، وإن كان على قدمه كان تعطيل للسعي والعبادة والسفر، وربما دُسَّ في جوف طير ميت ويضعونه جوار دار المسحور، أو في سطح داره فيمرض المقصود من ساكني الدار في جوفه أو على سائر بدنه فتجده يشكو من علل عدة، وهذا بعد أمر الله، وحينها لابد من

فك العُقد من جسد الطير، وربما استعملها السحرة للتجسس على ذلك المُصاب فترداد كثيرًا ذلك الدار، وهذا من حيل السحرة قاتلهم الله، وهذا مشاهد وملموس عند بعض المرضى، وقد أبطلنا مثل هذا السحر لبعض المرضى بعد أن تأملنا في رُؤاهم في أرض نجد وغيرها وجرى لهم الشفاء التام، والله المستعان.

العصفور: **مزاجه**: حار يابس، عاقل للطبيعة، يزيد في الباءة، ومرقه: يُلَيِّن الطبع، وينفع المفاصل، ودال في المنام على إنسان عامي لكونه من الطبقة الصغرى كالحصى دالة على العوام، وهو كثير الفرار والحذر، وكثير النكاح، ودل على الولد، وربما كان ضعيف الساقين، سائس، مدبِّر، أو صاحب لهو، ويدلون على الدراهم، وذلك لما ذكرناه سابقًا، وربما كان عدد الدراهم ستة دراهم.

الهدهد: دل على الكاتب، الناقد، وعلى الجاسوس، والعالم الكثير الجدال، ويدل على النجاة من الشدائد، وعلى العابد الكثير السجود، وذلك لاعتزاله عن الناس، ويدل على رسل الأكابر كما في قصته مع نبي الله سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودال على أصحاب العمائم والتيجان، وهذا من الشيء الذي على رأسه، ويدل على السحر؛ لأن السحرة يستخدمون ريشه للسحر، ودال على السعي بين رجل وامرأة بالزواج بعد صعوبة، وإن كان رديئًا فإنه يمشي بينهما على أمر رديء.

النحل: تدل على نيل رياسة، وإصابة منفعة، وعلى الزهاد؛ لكونهم في البراري غالبًا، وأخذهم من النباتات والمباحات، وأرباب النفع كالعلماء، والفقهاء، والأطباء، وأرباب التصنيف الذين بذلوا خيرهم لكثرة ما ينتفع الناس بعسلهم وشمعهم؛ لأن العسل شفاء، والعلم له طراوة، ومنعوا شرهم لكونهم لم يؤذوا أحدًا في مأكول أو مشروب ولا غيره، وتدل النحلة على عمل الشبك، وحفر الآبار والمدافن الملاح.

ويدلون على العساكر، وكذلك الجراد والزنابير وأمثالهم لكون عليهم أميرًا يرجعون إلى أمره.

الجراد: **ومزاجه** حار يابس، وهو قليل الغذاء، وإدامة أكله تُورث الهزال، وإذا تبخر به نفع من تقطير البول وعسره لا سيما النساء، ويُتبخر به للبواسير، والتي لا أجنحة لها: تشوى، وتؤكل للسع العقرب، وهو ضار لأصحاب الصرع رديء الخلط.

وتأويله فأما إن أتلفوا زرعـًا ونحوه أو قرصوا الناس فعساكر مؤذية، أو أمراض، أو جوائح، أو حوادث، وأما إن قطع عسلًا من النحل، أو أكل من الجراد، فأرزاق وفوائد وعلوم؛ كالزنبور شبيه برامي النشاب أو بالنبل، أو في دبره طلوع، أو مؤذي لأرباب الخير.

والكوارة من النحل: امرأة حسنة، وهي بلد، أو مَرْكَب أو مُرَكَّب، أو دابة، أو معيشة، أو دار بستان لمن ملكها.

ومن الطيور المختلفة:

الغراب: دل على المختال في مشيته، والمتبختر، والمتكبر، والبخيل، وربما دل على الفاسق الكذاب، ويدل على قتل الأخ إن كان يبحث في أرض، وربما كان أسمر البشرة، ويدل على الغُربة، وعلى التفرقة بين الناس بكلامه، وعلى افتراق المجتمع، وعلى خراب العامر، وعلى المتكلم الرديء.

كما قال لي إنسان: رأيت غرابـًا ينتظرني عند نافذة بيتي.

قلت: بينك وبين رجل فاسق خصومة ويريد أذيتك ويترصد لك.

فقال: صحيح.

الحدأة والرخم: أقوام خسيسي الأنفس، أصحاب مكاسب حرام لملازمتهم أكل

الجيف والخطف مما في الدور وأيدي الناس، وتدل على الحروب والقتال، وربما دلت الحدأة على المرأة الزانية، وتدل الرخم على الحمق والعداوة، وربما كان على بشرته بقع كالبهق ونحوه.

والخطاف: يدل على الرجل المعين، والأديب، والورع عفيف عن أموال الناس كثير الأُنس؛ لكونه يسكن عندنا في البيوت ولا يتعرض لما فيها، وهو رجل مبارك، أو امرأة مملوكة، ويدل على الغلام القارئ.

الخفاش: امرأة قليلة الكسوة؛ لأنه لا ريش عليه، فكان كثيرة الأمراض والعائلة لحمل أولاده على جسمه وهم كثيرون، ويدل على السحر واشتقاقًا من شيء خفي، وعلى المرأة الساحرة، ويدل على رجل جائر ذي حرمان، وربما كان في عينها عيب لكونها لا ترىٰ بالنهار.

وقس ذلك على طائر البوم فدال على المرأة الرديئة، والمكان الخرب، ويدل على العمل بالليل، وكثير الصمت، وتدل على العين على من دل عليه، فافهم ذلك.

الذباب: دال على رجل ضعيف، وطعَّان، دنيء، ومكسبه من حرام، وإذا وقع في مال الرائي خيف عليه من اللصوص، اشتقاقًا من ذبَّ، باب، وإن وقع على شيء فربما الخلاص يكن من قِبله أو من مثله، فافهم ذلك.

النملة: عدو ونحوه اللص، وللمريض دل على مرض الحمة أو النملة، وهو داء في الجنب، ويدل على المس الفاحش لكونه يحب الحلو، أو على السحر المذرور.

كما قالت لي امرأة: رأيت نملًا أسود اللون كان يعضني وأنا أدفعه.

قلت: اعتدى عليك أحد الأقارب أو الجيران، وربما أسود البشرة، أو جرى منه كلاما فيه غزل.



فقالت: صحيح.

وآخر يقول: رأيت أني آكل خبزًا في كيس، ودخل نمل إلى ذلك الكيس وأخذ كليتي.

قلت: فقدت أحد أولادك بسبب عدو، فكان كذلك.

الخنفساء: دال على إنسان بغيض قذر، وعلى امرأة لجوجة لا خير فيها، وعلى النفساء، وربما دل على امرأة ذات ريحة رديئة بعد المعاشرة، وإن كان الرائي مريضـًا ورآه بمكان معلوم فهو خادم للسحر إن كان مسحورًا؛ لأن من طباعها تخدم الأشرار، وربما كان مدفونـًا، وإن كان مجهولًا للمريض فربما دل على البدن، وهذا الحكم في الغالب للمجهول لرؤى المرضى لا سيما إن كانت الإشارات تدل على معنى البدن كالبيت القديم، واللباس القديم ونحو ذلك بشرط بعد اليقين أنه يشكو من ذلك المرض، والله أعلم.

العنكبوت: دال على امرأة ملعونة، وعلى المرأة التي ليس لها قرابة، وعلى بائعة الأقمشة، ويدل على الرجل العابد، وعمل النسيج، ويدل على وجع الواهنة، ويدل على المرض، وعلى ذات مال من قماش، وعلى الصياد، وعلى المكان المهجور، وعلى الكيد الضعيف.

كما قال لي إنسان: رئي لي من قبل أحد أبنائي: أن هناك إناء فيه عنكبوت زرقاء اللون فأكلتها.

قلت: أتاك رزق من امرأة تعمل في التجارة، أو أن مالها من حرام وجرى لك نكد من ذلك لأجل أولادك، وتشكو من زيادة في البرودة والرطوبة، فكان كذلك.

وقالت امرأة: رأيت عنكبوتًا فوق سريري.

قلت: اتقي الله ولا تهجري فراش زوجك.

وآخر يقول: رأيت أقدام عنكبوت كبيرة على أركان بيتي.

قلت: هناك امرأة كبيرة في السن تحوم حولك ولن تصل لمرادها لكونه أوهن البيوت بيت العنكبوت، فجرى ذلك.

حيوان البحر: وطير الماء أفضل الطير في التأويل؛ لأنهن أخصب عيشـًا، وأقلُّ غائلة، ومن أصابها أصاب مالاً، وغنيمة.

الضفدع: ومنه ضفدع الماء دال على العباد وأهل الذكر، وربما دلوا على العوام وأصحاب البكاء، وكثرتها في بلد دال على العذاب، وربما دل على مرض البلغم، ويدل على تعلم السباحة، أو السفر، أو تعري الثياب في سفر، أو وجع على القدمين والمشي على أربع، وعلى الفائدة ممن كان مكسبه من الماء، وتدل على أقوام سحرة خداعين، وتدل على المرأة الحرة الطاهرة ذات دين وخشوع لا تؤذي أحدًا، وعلى هذا فقس.

فكل ما ذكرناه من الحيوانات ومالم نذكرها احكم على ما تقدم ذكره، فما صدر من خير أو سوء عاد على من دل عليه، والله أعلم.

وسيأتي الحديث أكثر عن الصنفين الأول والثاني في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.

وقد اكتفيت بما سردنا من فوائد وإلا فما زال فيها فوائد ماتعة.

هذا والحمد لله تم سرد الجزء الثاني ويبقى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى من كتابنا التحرير، فيما جاء من رؤىٰ سورة يوسف من الحِكَم والتعبير.

إيجاز مع لذة في الإدراك.

صنفه: الربيع العابر

أبو الربيع عبد الغني بن صالح بن محمد الطاهري.



دواء ربيعي لأوجاع الحلق

لمن يشكو من أوجاع في اللوز أو الحلق أو في الصدر أو الرحم لا سيما أصحاب المزاج الصفراوي والسوداوي فبعد تناوله لدواء ربيعي المتقدم ذكره:

كوب من الحليب يضعه على نار هادئة، وأثناء غليانه يضاف عليه سبع من حبة القرنفل الجيد بعد طحنها، ثم يشربه بعد أن تبرد حرارته صباحًا ومساءً.

فائدة ربيعية طبية:

جاء في السنة أن من الأدوية النافعة للمعيون الاغتسال بوضوء العائن، ولكن البعض لا يشفى، والسبب يعود لأمور منها:

ربما ليس ذلك هو العائن، وإن جزم وقطع بأنه ذلك الشخص هو العائن من خلال ما صدر منه أو حكمت عليه من رؤىٰ وغير ذلك من الأدلة المعروفة عند البعض، فإن السبب الآخر هو تأخر وضوء العائن مما أدىٰ إلى تكيّف المادة السمية في عضو البدن، فصارت من الخارج إلى الداخل متمكنة، ولهذا عندما أُصيب الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سرعان ما أمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ التحري بمن مدحه وأمره بالوضوء، وربما يرجع لعدم الاستقامة من قِبل المصاب أمام قوة عين خبث القاتل، وغير ذلك من الأسباب، وفي هذه الحالة -أعني: عند تأخر أثر العائن ولم ينفعه ذلك-، يتوجب على المريض بالاستفراغ كالقيء والمسهل والحجامة وغير ذلك من أصول الطب النبوي للاستفراغ، والبعض يفهم أن حديث: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»، أن العين ليس لها دواء إلا الرقية! وهذا مفهوم خاطئ لا يستقيم، فافهم ذلك، والله أعلم.



الفهـــــــرس:









